قصص
قصيرة

بكاء الشجر

إيمان يوسف

سلسلة رؤى من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

صالح شرف الدين

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : بكاء الشجر
المؤلف : إيمان يوسف
تصنيف الكتاب : قصص قصيرة
الغلاف : للفنانة والأديبة حنان العشماوى
تصميم وإخراج : سلسلة رؤى
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٠٣٥٣ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 769 - 9

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١١٥١٠٤٧٦٥٦ - ٠١٢٨٣٦٢٢٩٧٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى الشجر..

التقديم

السرد القصصي بين الذاتية والإنسانية

قراءة في المجموعة القصصية : بكاء الشجر

للأديبة إيمان يوسف

بقلم

المستشار صالح شرف الدين

عضو لجنة النقد باتحاد كتاب مصر

يديـن الإنسـان في كل مراحـل حياتـه لمـا غـرس فيـه في الطفولـة، فالسـنوات الأولى للإنسـان عـلى الأرض تشـكل وعيه وعقلـه الباطـن، ورغـم كل مـا يكتسـبه مـن تعليـم، يسـتفيد منـه مـن تجـارب الحيـاة ؛ تظـل النشـأة الأولى مؤثـرة بوعـي

أو بغير وعي، لقد تذكرت ذلك،وأنا أقرأ هذه المجموعة القصصية التي يشكل مفتاحها قصة (هو)،هي قصة فتاة تربيها جدتها، وتغدق عليها حنانا ورعاية، ويصر الأبوان بعد سته أعوام على أن يأخذوا الفتاة لتعيش معهما ومع إخوتها، هذه النقلة الإجبارية زلزلت الفتاة من الداخل، وزلزلت الجدة، ورغم كل محاولات التخفيف من الآثار السيئة لهذه النقلة غير المبررة خصوصا للطفلة - رغم كل ذلك ظل الإحساس بالقهر، يسيطر عليها داخليا، ويؤثر على قراراتها، تكبر وقد تقوقعت على ذاتها، ووضعت كل همها في صداقة الكتب، وجدت فيها الوفاء والحنان والاحتواء الذي افتقدته بانتزاعها من أحضان الجدة، توافق على الخطبة لأن الخطيب سيسكنها بجوار حبيبتها، وعندما تموت الجدة تصر على فسخ الخطبة، هكذا كانت ومازالت وستظل سنوات الطفولة مؤثرة على مسيرة الإنسان طوال حياته، سنجد روح فيفيان هذه الطفلة المبدعة تسري في أغلب قصص المجموعة، فتنحاز دائما لكل ماهو راق وجميل مثل جدتها، تنحاز لإنسانية الإنسان، وحقه في أن يختار، ولا يقهر على شيء، ويفيض هذا الإحساس الإنساني ويتألق فتشعر هذه الطفلة شديدة الحساسية تشعر بظلم

الإنسان لمخلوقات الله، وتسمع بكاء الشجر، وتتماهى مع ما يحس به نحو من يقطع الأشجار لغير ضرورة تقول في قصة (هو) المفتاحية :

أخذَ الأبُّ والأمُّ حقيبةَ ابنتِهما، ولم يدركا أن الابنةَ تركتْ قلبَها فى بيتِ جدتِها، وتركتْ صندوقَ الذكرياتِ السخيّةِ، والوطنَ الطفوليَّ، وشهادةَ الميلادِ فى الخمسِ سنواتِ الأولى فى التكوينِ والتلقينِ والعذوبةِ المنقوعةِ فى خزانةِ البداياتِ.

ذهبت فيفيان ولكنها كطفلةٍ رحلتْ إلى أعماقِها لم ينتبهوا أن الخمسَ سنواتٍ ليستْ عابرةً، ولكنها محفورةٌ فى فضاءاتِ الذاتِ وصلَ الأبوان إلى منزلِهما بالغنيمةِ التى انتَابَها طوفانُ البكاءِ والصراخِ، احتوتْها أمُّهَا على كفِّ الرحمةِ، وفرحَ بها أخوتُها، ولكنَّ الطفلةَ المنزوعةَ من حياةِ جدتِها انتابتْهَا الدهشةُ، فبرغمِ حفاوةِ الأخوةِ والأبوين هى بعض منهم، هناك ملَكُ منزلٍ وقلبُ جدتِها سريرُها نداؤها، كلماتُها، الطعامُ، ونكهتهُ العذبةُ حتى الخادمةُ ومشاغبتُها..

وتقول في قصة بكاء الشجر، وهي قصة المجموعة :

والأغصانُ تبكى قسوةَ البشرِ دونَ مبالاةٍ منهم وعادتْ الحياةُ، ولم يعدْ الشجر، ماتَ على قارعةِ الطريقِ حيثُ لا صاحبَ ولا صديقَ.

عندما قطعوا واعتدوا على فروعِ وأغصانِ الشجرِ تسبّبُوا فى تشريدِ وتشتيتِ عشراتٍ من عائلاتِ العصافير، ودمروا أعشاشَ الصغارِ ومأواهُم لن يعلنوا بعدَ ذلك استقبالَ الصباحِ، ولن يتغنوا وينشدوا: صوصوصو، لن يعلنوا أيضا وقت الغروب ويتغنوا للنوم.

بدأ الغبار يغمر البيوت، وتسللت حرارة الشمس إليها، عُوقبَ الجحودُ، ولم ينفعْهُ الندمُ .

- تبدأ المجموعة بقصة (ملامح) قصة قصيرة جدا عن أن الإنسان يكتشف ذاته الحقيقية عندما يجد أن ما يفعله يسعده، ترسو سفينته على شواطيء الحلم الذي تحقق، يجد نفسه ويتعرف على ملامحه .

القصة شديدة التكثيف والعمق، وتفتح أبوابا كثيرة للتأويل.

- المحاولة : قصة قصيرة جدا تتعمق الذات الإنسانية، وتتعلق بالأمل رغم كل الإخفاقات، فمازالت تحاول،

تكثيف وربط للعام بالخاص، وترك مساحات واسعة للتخيل .

- أما قصة (تصالح) فترسم فيها طريق النجاح، تؤكد على أسسه، وكيف سيأتي التصالح مع النفس في موعده، وتجود الدنيا بما بخلت به، تصل في القصة لعمق المأساة الإنسانية، وتكتشف أن الإخلاص سر النجاح، وأن التصميم والإصرار يحققان الأمل .

- وفي قصة شلالات الحقائق تحكي عن الاستسلام للواقع، وكيف يخور عزيمة الإنسان أحيانا، فيعيش مثل من حوله، وينسى بعض الوقت أحلامه وطموحاته، لأن هناك ما هو أهم، ولأن الموج عال جدا، والنوّة شديدة لا يمكن الوقوف أمامها بلا خسائر .

- الجنة في حجرة :قصة تحليل نفسي، تبين كيف ترتبط العلل الجسدية بالحالة النفسية، وكيف لعبت الموسيقى دورا كبيرا في العلاج، وكيف كانت حالة النشوة والموسيقى تسيطر على كل شيء .

- وقصة (وجه من قصة) تبرز مشكلة نفسية يشعر بها مرهفو الحس، عندما تعمق غربتهم تقلبات الحياة ؛

لدرجة شعورهم بغربة ملامحهم عنهم، ولولا بعض من إيمان لاستمرت هذه الغربة التي لا يتخيلونها لكنها ماثلة أمامهم في المرآة .

- بكاء الشجر :قصة المجموعة وهي قصة تأخذ أبعادا رمزية تتعلق بالشجر وما يرمز إليه، وقد تخيلت الكاتبة الشجر يبكي عندما قطعوه بلا سبب مقنع سوى أنه يزاحمهم الأماكن، وندموا عندما عانوا كثيرا من الآثار السلبية لقطع الشجر، ندموا حيث لم يعد الندم مفيدا .

- قصة أخرى تعد نواة لرواية اجتماعية مؤثرة (هي والقاهرة) تبرز معاناة المرأة في الحياة لتحافظ على زوجها وأبنائها وبيتها، ورغم انتقالة غير محسوبة من محافظة إلى أخرى، تنجح المكافحة وتحقق أغلب ما تتمنى رغم معوقات كثيرة مرة تأتي أغلب مرارتها من أقرب الأقرباء في العمل أو الأسرة إنها جرعة أمل لكل من يصر على أن يكون أفضل، تقول فيها :

تجلسُ وفاءُ في شرفةِ منزِلِها الجديدِ، وتمضِي بناتُ أفكارِها ؛ لتعودَ سنواتٍ وسنواتٍ حفرتْ أحداثُها في ذاكِرَتِها وعلى جلدِهَا الكثيرَ من العلاماتِ التي لم يستطعْ

أن يمحوَهـا الزمـنُ، ولا مـرورُ الأيـام، وضعـت يدَهَـا عـلى خدِّهَـا، ونظـرتْ إلى السـماءِ..

-قصـة أخـرى يمتـد فيهـا الزمـان وتتعـدد الشـخصيات (الجميلـة) وهـي قصـة تـبرز جانبـا سـلبيا في الواقـع الاجتماعـي الـذي يهتـم بالمظاهـر، وتـسري فيـه بعـض القيـم الاجتماعيـة السـلبية، فرغـم كفـاح البطلـة، وأنهـا تبـذل كل جهـد مـن أجـل أن تبقـى السـفينة عائمـة، تخطـيء أمهـا وتشـكو مـن زوج ابنتهـا المسـتهتر لصديقاتهـا وهـن في زيـارة لهـا في مرضهـا، فتتغـير معاملتهـن، وينعكـس ذلـك بالسـلب عـلى الأسرة، فتفسـخ خطوبـة البنـت، والابـن، وبـدلا مـن الوقـوف مـع هـذه البطلـة، تـم الوقـوف ضدهـا، وعقابهـا عـلى ذنـب لم ترتكبـه هـي ولا ابنهـا وابنتهـا، تقـول فيهـا :

وعندمـا شـفيت الجميلـة وعـادت للعمـل وجـدت الجميـع فى العمـل يواسـيها فى أحوالهـا لقـد تـسرب حكـى أمهـا عـن حياتهـا إلى الـكل وللأسـف زميلتهـا التـى كانـت تلمـح لهـا بـزواج ابنهـا مـن ابنتهـا وحـددوا ميعـاد المقابلـة اعتـذرت. وأيضـاً ابنـة زميلتهـا التـى تـم موافقتهـا عـلى الخطوبـة مـن ابنها تعللـت أن يكـون الابـن متـسرع فى قراراتـه مثـل أبيـه ولا يقـدر

قيمة الأسرة ويفضل الجلوس على المقاهي. فالولد دائما ما يقلد الأب. وبدأت الحياة بقهر مجتمعي آخر لا ذنب لها ولا لأولادها فيه.

- قصة كفاح ونجاح لتلك المرأة البطلة في هذه المجموعة، تبرز جانبا من الصراعات الجانبية في الأمسيات والنوادي الثقافية، وتتضمن لذلك أربع قصائد بديعة : هدايا السنة دي، وطن بلا تدخين، دعوة للحب، بلطجة .

تقول فيها : اتفقوا أن يقوم البعض بالتشويش على الأمسية ويقوم البعض الآخر بتعطيل أجهزة الصوت،وكانت سها محظوظة فقد سمعت صديقتها كلام الأشرار بالصدفة، وأبلغته لسها وأخذت حذرها، واختارت قاعة مغلقة، وركبت فيها توصيلات الصوت، ووضعت حارسا على الباب من الداخل وآخر من الخارج ..

وعندما رأى أعضاء المجلس الجديد نشاط سها وجدية الاستعدادات تضامن معها وساندها، ووفرلها مالا طلبت من أدوات ومساعدين ..

-في ختام المجموعة :قصة أجنحة البحر، ومعاناة أخرى لفتاة خطيبها على سفر، يؤجل موعد العودة مرة تلو مرة وتمر السنوات، وتتعلق بالأمل رغم آلم المسافات، والوعود التي تتأجل مرة تلو مرة

تقول : ..أنا هنا يا حبيبي مكبلة بالمشاكل، يصاحبني الملل، لا أملك إلا هذه الذكريات، وصفحات كلمات، وقمرا وقصائد، أحلام انتظار، هل يسمعني النهار ؛ليرسل لي باقات التفاؤل ؛لأستعيد الحياة، هنا بدونك يا حبيبي الدمع غزير، والخوف وفير، والأمل في قلبي يستجير، والقلق يشتد ويهتف بالارتباك، لا أنا هنا ولا هناك، الأزمات طغت على الوعود والأمنيات .

-وبعد فإن الذاتية والبعد الإنساني البطل الحقيقي لهذه المجموعة، فالبطلة في كل القصص تكافح وتواجه صعوبات وتتغلب عليها، يصيبها اليأس، وتستسلم حينا، وتتمسك بالأمل وتصبر غالبا، تتصالح مع ذاتها فتكسب نفسها وتكسب الدنيا أيضا برغم كل تقلباتها، تصبر على نوائب الدنيا فتزداد قوة، وتحقق النجاح تلو النجاح، فتزيد قدرتها على الصبر والتحمل .

أجادت الكاتبة الرسم الاجتماعي والنفسي في أغلب القصص ؛حتى شعرنا أن الأبطال شخصيات مألوفة لنا، ومن واقعنا الاجتماعي بكل ما يحمل من تناقضات، جعلتنا نتعاطف مع البطلة في المواقف المختلفة نحبها ونقدرها ونحب ما أحبت ومن أحبت، بل نكره ما كرهت ومن كرهت، ولأن هذه القصص تتماهى مع الذاتية فلم ترسم لنا البطلة رسما فيزيائيا كاملا، وتركت لنا أن نتخيلها حتى لا تكرر الرسم الذي يتماهي مع رسم الكاتبة نفسها، ورغم امتداد بعض القصص في الزمن وتعدد الأماكن والشخصيات حرصت الكاتبة على أن تبقى هذه القصص في إطار القصة القصيرة، فقد جعلت هذا الامتداد والتعدد بتقنية العودة للخلف والتذكر .

- تبدو في المجموعة القصصية حرارة العاطفة وقوة الوجدان، واللغة الشاعرية وهو أمر نجده كثيرة في القصص التي يكتبها الشعراء، وقد أدرجت أربع قصائد في قصتها الأمسية بصورة طبيعية فالقصة تحكي عن أمسية أدبية ثقافية .

- مما لهذه المجموعة أنها سردت بأسلوب السارد العليم فتألق الحكي ولم تحد من انطلاقاته قيود الذاتية والحكي المباشر.

- التزمت الكاتبة اللغة الفصحى السهلة الأقرب إلى الواقع والواقعية، مما أعطي قوة للجمل والأساليب والعبارات خصوصا ما اشتمل علية التعبير من بيان وبديع، يؤكد على الحالة النفسية للأبطال مثل قولها في قصة ملامح :..تكشفُ يوما بعد يومٍ فلسفةَ الحياةِ ما بينَ النزاعِ، والجدالِ، والحوارِ والموتِ حيثُ تهدأُ العواصفُ حينا، وتشتعلُ البراكينُ حيناً داخلَ القضايا فيرتجفُ الحرفُ، ويصنعُ الكلمةَ، ويستخرجُ سبلَ الخيرِ ؛ لكى تعرفُ النفسُ الحقيقةَ، وجوهرَها، وما يلائمُها من معرفةٍ ؛ فيهتزُّ جبلُ الوعي، ويرسمُ الملامحَ.

- لقد تألقت الذات الشاعرة سردا، وتألقت الإنسانية في ملاحم كفاح البطلة في أغلب القصص، وكيف تحقق النجاح بالتضحيات والصبر والإخلاص، وهذا ما يجعلنا نحتفي بهده المجموعة المميزة، ونتمنى للكاتبة المزيد والمزيد من التألق، وأن نطلع قريبا على الجديد المميز من إنتاجها الأدبي شعرا وسردا، ونسأل الله دوام والتوفيق ..

الجيزة

أكتوبر ٢٠١٨م

ملامح

تراكمَ على نفسِها الصافيةِ صدأُ الحياةِ اليوميةِ من: عاداتٍ وموروثاتٍ وأساطيرَ وأعمالٍ، ولم تكتشفْ حقيقةَ ذاتِها إلا مع الكتابةِ، والسطورِ، والقلمِ الساحرِ الذى أغدقَ عليها الجمالَ، والسعادةَ، واتساعَ الأرضِ بما فيها من حقائقَ ومعارفَ، وظلت الجملُ تكشفُ يوما بعد يومٍ فلسفةَ الحياةِ ما بينَ النزاعِ، والجدالِ، والحوارِ والموتِ حيثُ تهدأُ العواصفُ حينا، وتشتعلُ البراكينُ حيناً داخلَ القضايا فيرتجفُ الحرفُ، ويصنعُ الكلمةَ، ويستخرجُ سبلَ الخيرِ؛ لكى تعرفُ النفسُ الحقيقةَ، وجوهرَها، وما يلائمُها من معرفةٍ؛ فيهتزُّ جبلُ الوعي، ويرسمُ الملامحَ.

المحاولة

يدعوهـا دائـماً للتفـاؤلِ والأمـلِ برغـمِ غربتـهِ، وتقـولُ كلمتَهـا المعتـادةَ (حـاضرْ سـأحاولْ) لا يعلـمُ أنَّ الكلـماتِ وحدَهـا لا تصنـعُ مسـاحاتِ الفـرحِ والرضـا .الهاتـفُ بـكلِّ مـا يسـاهمُ بـهِ فى التواصـلِ، والتَّمسُـكِ بلغـاتِ الحكـي الوقتـي، وبـكلِّ مـا تشـاركُ بـهِ التكنولوجيـا في التواجـدِ عـبرَ الصـورِ، وموسـيقى الرؤيـةِ، واقـترابِ المسـافاتِ بـينَ الوطـنِ الوجـدانيِّ الحزيـنِ، لظـروفِ الفقـدِ تشـتاقُ الثـواني التفاصيـلَ الحسـيةَ، وميـلادَ الحلـمِ الوجـوديِّ لبوابـاتِ الحـدث. الكلـماتُ تصنـعُ الاتصـالَ، ولكنَّهـا غـيرُ قـادرةٍ عـلى فعـلِ التواصـل..

من يضمِّدُ الشروخَ فى غربةِ الخروجِ من الآنيةِ الزمنية.

النهـارُ تنخلـعُ منـهُ الشـموسُ ؛ فيبقـى الليـلُ هكـذا يطـيرُ فى لحظـاتِ الحضـورِ حتـى عـلى منضـدةِ اللقـاءِ عـن بعـدٍ.

غربتـهُ هـى طمـسٌ لـكلِّ معـاني الحيـاةِ المعاشـة. إنـه التعايشُ فقـط حتـى حضـورِ المنتظر.

الانتصارُ على هزيمةِ الفراقِ بوابةُ الحزنِ التى تعشقُ قلبَ المسافةِ. تلعبُ الأزماتُ بالبشرِ بالملامحِ ؛ فيرتعشُ الوقتُ فى الترحال.

نصفان لا يجمعهما إلا الصدفُ ؛ فيتوارى التفاؤلُ على صفحاتِ الانتظارِ، ومازالتْ تحاول.

تصالح

لم تكنْ تدرى أنَّ التصالحَ مع الزمنِ سيأتي أوانهُ ويمهلُها بعضَ الوقتِ ؛ لالتقاطِ الأنفاسَ، ويُفسحُ لها الطريقَ للتداوى من سنواتِ الارتطامِ، والعملِ فى غيرِ ما تفضلُ، وتحبُّ، ولكنّها أحبتْ ما عملتْ فأنجزت.

ما سبقَ هذه اللحظاتِ كافٍ، بمثابةِ جهادٍ واجتهادٍ أخذَ من سنواتِ العمرِ، والشبابِ وساعاتِ الهدوءِ والسكينةِ والابتسامة.

هى عاشقةُ النجاحِ فكانَ لها من العشقِ صعابٌ ومشقةٌ فى سويعاتِ النهارِ التى تفردُ عباءتَها على صفحةِ اليومِ، ومع تتابعِ الأيامِ بنفسِ النمطِ الآليِّ الذى يدورُ فى ماكينةِ نسيجِ النجاحِ.

هى تصادقُ الأزمنةَ، وتتصالحُ مع نفسِها المتمردةِ والمرهفةِ. ترسم زوايا اللقاءِ وتفردُ شباكَ العملِ ؛ لتصيدَ الوقتَ، ويمنحَها أربعاً وعشرين ساعةَ إنجازٍ.

تتحايلُ وتتوددُ وترتطمُ وتتفاهمُ وتقرأُ فنَ التفاوضِ، وفنونَ معاملةِ البشرِ، وتقتدي بنهجِ المتميزين، وصناعِ الأملِ ؛ لكى تكتبَ اسمهَا فى سطرٍ من تاريخِ الوطنِ على أبوابِ الإبداع.

قراءاتُها متعددةٌ، كما علَّمَها أساتذتُها فى مدرسةِ الحياةِ، واحترامُ الوقتِ، وتقديرهِ ؛ فلا يبددُ فيما لا يفيدُ.

كان لها خريطةُ تواجدٍ، وموازنةٌ شهريةٌ، ورسمُ طريقٍ أسبوعيٍّ للنهوضِ بذاتِها وإبداعِها وأسرتِها.

كم كانَ الفكرُ يصاحبُها حتى فى ساعاتِ النوم. للمفاضلةِ بين هذا وذاك. لم تستهنْ بصغائرِ الأمور. كلُّ شيءٍ له عندها حساباتٌ ومقدراتٌ واستنتاجاتٌ ومراجعاتٌ.

وهى مدركةٌ تماماً صعوبةَ النجاحِ ؛ لكنها تؤمنُ بالمحاولةِ، وداخلَها يقينٌ أن لكلِّ مجتهدٍ نصيباً وأن اللهَ لا يضيعُ أجرَ من أحسنَ عملاً.

رغـمَ أن العـدلَ فى السـماءِ، وقليـلاً منـهُ فى الأرضِ، لكـن الضمـيرَ فى الأداءِ سـيجلبُ الـولاءَ والبهـاءَ وعـدلَ ربِّ السـماء.

كـم صارعـت كثـيراً نفوسـاً بشريـةً مريضـةً، وحاقـدةٌ تعرقـلُ جهـودَ المتميزيـن، وتحجّـمُ خطواتِهـم، قابلَهـا هـذا فى العمـلِ، وفى سـاحاتِ الحيـاةِ والإبـداعِ.. ولكنهـا أصرتْ عـلى أن تكـونَ متصالحـةً دائـما مـع نفسِـها، وتجتهـدُ حتـى آخـرِ العمـرِ بعـد انفصالِهـا عـن زوجِهـا قـررتْ أن يكـونَ النجـاحُ هـو الحـلُّ الأمثـلُ بـدلا مـن الخضـوعِ لرجـلٍ يعرقـلُ مسـيرتها، ويُثَبِـطُ همَّتهـا، ويقـفُ أمـامَ طمُوحِهـا.

وهكـذا بـدأَ التصالـحُ يـؤتي ثـمارَهُ، وتنتقـلُ مـن نجـاحٍ إلى نجـاح.

شلالاتُ الحقائق

تقلّبُ في صفحاتٍ قديمةٍ لم تستطعْ أن تنساها، ومازالت تؤثرُ فيها ؛ فقد كانت المساومةُ هى التى تحكمُ الحياةَ بينهما. هى تعشقُ النجاحَ وتمتلكُ بعضاً من أدواتهِ وسطوتهِ وتحاولُ أن تُنجى باخرةً تقودُها بأولادِها وزوجِها الذى يعلمُ جيداً أنها ماهرةٌ فى السباحةِ مهما كانَ الموجُ يصفعُ حياتَها فصبرُها وإيمانُها أقوى من الانقسامِ والمراوغةِ والاختلافِ والغرقِ فى توافهِ الأمورِ. فيمنحُها الحريةَ مقابلَ المادةِ قانونِه الصريحِ هو الحاكمُ لِما بينهُما يعلمُ أنَّها تستغلُ هذه الحريةَ فى العلمِ والقراءةِ والكتابةِ فهي قاصةٌ وشاعرةٌ وتحبُّ أن تتفاعلَ مع مجتمعِها الثقافيِّ بحضورِ بعضِ الندواتِ والأمسياتِ التى تضيفُ لها وتحاولُ جاهدةً أن تضعَ هذا التوازنَ الصعبَ بين مسئولياتِ المنزلِ والأولادِ والعملِ أيضا لأنّها امرأةٌ عاملةٌ فى إحدي شركاتِ القطاعِ العامِ ولا يمكنُ أنْ تتفرغَ أو تتركَ عملَها لأنَّ المرتبَ هو الحدُّ الفاصلُ والرابطُ بينَ الحياةِ الأسريةِ والحياةِ الأدبيةِ.

الدائـرةُ واحـدةٌ يحمِيهـا المرتـبُ والمكافـآتُ فلابـدَّ أنْ تصنـعُ المسـتحيلَ فى أربـعٍ وعشريـنَ سـاعةً هكـذا اليـومُ يبـدأُ فى الخامسـةِ صباحـاً لأنَّ سـيارةَ الشركةِ تسـتقلُّها السـاعةَ السادسـةَ والثلـثَ وتغـادرُ المنـزلَ فى تمـامِ السادسـةِ وعـشرِ دقائـقَ أو أقـلِّ لتمـشيَ عـلى قدمَيهـا ربـعَ سـاعةٍ مسرعـةٍ للحـاقِ بسـيارةِ الشركـةِ لأنهـا تقطـنُ بعيـداً بحـوالي سـاعةٍ أو أكثـرَ عـن عملِهـا فى وسـطِ البلـدِ والمواعيـدُ بالعمـلِ مـن ٧,٣٠ صباحـاً حتـى ٣,٣٠ عـصراً مسـئوليةُ العمـلِ لامـرأةٍ مبدعـةٍ صعبـةٌ للغايـةِ بمـؤشرٍ يحتـوى عـلى كلِّ الأصعـدةِ والمعامـلاتِ البشريـةِ. كانـت تحـاولُ دائـماً ألّا يعـرفَ زملاؤهَـا بالعمـلِ إنهـا تكتـبُ ولهـا حياتُهـا وقراءاتُهـا وموهبتُهـا وتحـاولُ أن تقتـديَ بالكاتـبِ العظيـمِ صاحـبِ جائـزةِ (نوبـل) نجيـبِ محفـوظٍ حيـث كان يخفِـى عـن زملائـهِ أنـهُ كاتـبٌ لدفـعِ الحقـدِ والحسـدِ وعنـدهُ الحـقُّ فى كلِّ الأقـوالِ فعندمـا عَـرفَ زملاؤهـا بالصدفـةِ عندمـا نُـشرت إحـدى قَصائدهـا الفائـزة فى جريـدة كـبرى، وصورتهـا تزيـن القصيـدة كان هـذا اليـوم بدايـةَ الحيـاةِ المتقلبـةِ، والظالمـةِ عـلى مسـتوى العمـلِ فالرئيـسُ المبـاشرُ امـرأةٌ، والمديـرُ العـامُ

امـرأةٌ وبعـضُ الزميـلاتِ سـيداتٌ كلهـن الحيـاةُ بالنسـبةِ لهـنَّ المـأكلُ والمـشربُ والمسـئولياتُ ولا وقـتَ ولا فعـلَ لغـيرِ ذلـك ولا مواهــبَ ولا قــدراتٍ أخــرى ؛ فكيــفَ تســتطيعُ هــى أنْ تتميـزَ وتتألـقَ وتجتهـدَ وتصنـعَ حيـاةً متوازنـةً. بـدأتْ المشـاكلُ فى العمــلِ وانتهــى الإبــداعُ والكتابــةُ مــن حياتِهــا، وانتهــت المسـاومةُ، ومعهـا النجـاحُ وتحققـتْ أمـالُ زوجِهـا وزميلاتِهـا فأصبحــتْ مثلهــنَّ، نجحــت المســاومة وفقــدت روحهــا.

تتنهــدُ تمســحُ دمعــةً تزيــلُ معهــا تلــك المســاومةَ، وتقلــب الصفحــة.

الجنةُ في الحجرة

كانتْ كثيرةُ المسئولياتِ تبحثُ عنها الأحزانُ وقوالبُ العملِ والجديةِ. تديرُ أحدى الشركاتِ التى تحوِّلُ المرأةَ إلى عقلٍ واجتهادٍ وثوابتٍ ومنافساتٍ دائمةٍ فى مجتمعٍ لا يرحمُ، وهىَ من عشاقِ النجاحِ، ولكنْ فجأةً أحستْ أنَّ نبضاتِ قلبِها غيرُ منتظمةٍ، وتعتريها حالةٌ من الإرهاقِ والإجهادِ ذهبتْ للطبيبِ نصحَها بعملِ فحوصاتٍ وأشعةٍ وأمهلَهَا فرصةً للتوقفِ عن العملِ والراحةِ والاسترخاءِ وإلا سيترتبُ على ذلكَ تصاعدُ الأزمةُ الصحيةُ لها.

خرجتْ من عيادةِ الطبيبِ تفكّرُ تفكيراً عميقاً، خرجت بنتائجَ عقلانيةٍ تُرضى بها نصائحَ الطبيبِ، ولكنها غيرُ راضيةٍ تماماً عن متابعةِ نجاحاتِها وروتينِ الحياةِ التى عودتْ نفسَها عليهِ لكى تتناسى رقتَها وأحلامَها السابقةَ..

جلستْ فى الحجرةِ تتذكر الماضي وعشقها السابق لأن تكون عازفة للبيانو خصوصا أنه من مقتنيات المنزل ،وهي أيضا تهدهد ذاتها بسماع الموسيقى . عرضتْ الأمرَ على إحدى زميلاتِها التى كانتْ تثقُ بها وهي بمثابةِ أختٍ

وصديقـةِ لقصـةِ حياتِهـا وكفاحِهـا في الحيـاةِ، ودارَ الحـوارُ حـولَ السـعادةِ فوجـدتْ أنهـا ليسـتْ سـعيدةً.

دوامـةُ المسـئولياتِ لم تمهِلْهَـا وقتـاً لتـمارسَ بعـضَ مـا يسـعِدُها، أقـربُ مـا يسـعدُها الموسـيقى لم تسـتطعْ ممارسـتِها، مـن هنـا كانَ الإحسـاسُ بالجنـةِ مـن أولِ مـرةٍ اتصلـتْ صديقَتُهـا بمـدرسِ الموسـيقى فى واحـدٍ مـن معاهـدِ التعليـمِ، لأنّـهُ كان يـدربُ ابنتَهَـا، وهـى تعـرفُ أنّـهُ أسـتاذٌ قديـرٌ، وسيسـتوعِبُ الموقـفَ واتصلـتْ بـهِ لتحديـدِ ميعـادِ اللقـاءِ مـع صديقَتِهـا ؛ لتعليـم الموسـيقى، وأفصحَـتْ لـهُ عـنْ أنَّ السـنَّ فـوق الخمسـين ؛ حتـى يكـونَ عـلى درايـةٍ بفـوارقِ ردِّ الفعـلِ بـين الصغـيرِ والكبـيرِ، وأنّهـا تحتـاجُ للعـودةِ للموسـيقى لاشـتياقِها لتكويـنِ هـدوءٍ سـاحرٍ يمنحُهَـا قـوّةً لمواصلـةِ حياتِهـا العمليـة، ولعـلَّ في الموسـيقى شـفاءٍ لهـا مـن التوتـرِ الدائـمِ وضغـوطِ العمـلِ والعوامـلِ الصحيـةِ المتقلبـة. فالـزوجُ والأولادُ كلُّهـم منشـغلون فى أحوالِهـم وحياتِهـم، هـى القائـدُ والمراقـبُ وصنـدوقُ المشـاكلِ بـالأسرة وبالعمـل ؛ فقـررت أن تمهـلَ نفسَـها فرصـةَ التغيـيرِ كـما نصحَهـا الطبيـبُ وصديقتُهـا.

ذهبتْ بعدَ تحديدِ الموعدِ إلى معهدِ الموسيقى وكأنّها لأولِ مرةٍ تراقبُ إحساسَها، وتتساءلُ أهذه الموسيقى ستعيدُ لي اتزاني وشفائي.

تنادى داخِلَها وتتحاورُ حتى وصلتْ إلى مدخلِ المعهدِ، وبدأت فى الصعودِ للدورِ الأولِ للمعهدِ لتقابلَ مدرس الموسيقى، وتتمنى أن يتسعَ لها العمرُ حتى تعيشَ حياةً موازيةً مع هوايتِها لأنها من جيلٍ أنفق سنوات عمرِهِ فى العملِ فقط.

فى كلِّ درجةٍ من درجاتِ صعودِها كانت تمرُّ بخفقةٍ وارتعادةٍ ودهشةٍ وعرقٍ داخِلِيٍّ متوترٍ من اللقاءِ، تحملُ معها كلَّ أحزانِها ومسئولياتِها وتتمنى أن تخرجَ من حصةِ الموسيقى بفرحٍ جديدٍ، وشخصيةٍ جديدةٍ، أملها يسبقُهَا وتعلمُ أن التعليمَ ليس له سنٌ فبرغمِ خمسينيتها التي على الورقِ فقلبُها مازالَ ينْبِضُ فرحاً. وتستدعى أحساسَ الطفولةِ، التى كانت دائما تحاولُ أن تحجُبَهُ وتتوارى خلفَ جديَّتِهَا وعقلِها. لكنّها الآنَ تُحِسُّ بأنّها إنسانةٌ تستردُّ وعيَهَا

وابتسامتها، يدخُلُهَا شعاعُ شمسٍ يدفِئُ لحظَتَها رغمَ قلقِ لقاءِ مدرسِ الموسيقى لأولِ مرةٍ من أيامِ أنْ كانتْ فى الثانوي. لعلها بدايةُ قصةِ حياةٍ تعزفُ منْ خلالِها زغاريدَ فرحِ الإحساسِ ونشوى الروحِ التى حرمتْ نفسَها منهَا فى خضمِّ قوانينِ العملِ واليومِ الصارمِ بالعقلانيةِ المفتعلةِ للحفاظ على الأسرةِ والعملِ والنجاحِ كما تعتقدُ، ولكنها الآنَ كأنّما تزيَّنت لتقابلَ نفسَها وبهجتَها بصدرٍ رحبٍ يتسعُ للحظاتِ السعادةِ مع الموسيقى .

خطواتُها فقط هى الثابتةُ فى الصعودِ لكنَّ ذاكرتَها وقلبَها يشتركان فى رسمِ اللوحةِ الجديدةِ للأيامِ القادمةِ .

استقبلَها مدرسُ الموسيقى الذى كان فى انتظارِها، سلمت عليهِ وهى تتبعثرُ ارتباكاً نسيتْ تماماً عندَ بابِ الحجرةِ أنها مديرةٌ فى عملها، يقفُ لها موظفوها إجلالاً وترحيباً.

نظرت فى عينِ المدرسِ بخوفِ الطفلةِ وسلمت عليهِ برعشةٍ انتابتها من حفاوةِ اللقاء..

الحجـرةُ مليئـةٌ بـالآلاتِ الموسـيقيةِ كأنّهـا أشـجارٌ بثمارِهـا تتـلألأُ، وتبتهجُ بابتسـامةٍ سـمحةٍ تدعوهـا للجلـوسِ، الجدرانُ لونُهـا هـادئٌ يحـترفُ الهمـسَ ويمنحُـك التجـلى ؛ فتتناسـى الخـارج تمامـاً بقـرارك، تطـاردُك القاعـةُ لتتابـعَ بشـغفٍ كلَّ ركنٍ بهـا، جمـالٌ يسـتحقُّ اللمـسَ، تمنـتْ أن تلمـسَ بأصابِعِهـا كلَّ آلـةٍ موسـيقيةٍ، كأنّهـا تسـلمُ عليْهـا وتتواصـلُ مـع إحساسِـها، وتتوحـدُ مـع نغماتِهـا لتعـبرَ ممـراتِ الـروحِ لتشـفى.

عـلى واحـدٍ مـن الجـدرانِ صـورةٌ كبـيرةٌ للمـدرسِ وهـو يعـزفُ فى مشـهدٍ رائـعٍ، موكـبُ اللقـاءِ بينـهُ وبـينَ الآلاتِ سـحرٍ ينتـشرُ بحالـةٍ جماليـةٍ ؛ فتبتهـجُ وتقـولُ اشـتهيتُ هـذهِ اللحظـاتِ الحالمـةَ لتخفـفَ عنـى خزائـنَ الزحـامِ، والواقـعِ الغريـبِ الـذى دائـماً مـا يدعـو للاغـترابِ، ويأخـذكَ لقطـارٍ ليـس لـهُ محطـةٌ إنـه اتجـاهٌ تصاعـديٌّ أحـاديٌّ، مـع كلِّ محطـةٍ تـدركُ إنـهُ النجـاحُ ؛ فتخـافُ مـن التوقـفِ، وتظـلُّ فى هـذا القطـارِ طـوالَ العمـرِ. ثـم تكتشـفُ إنـه نجـاحٌ مزيـفٌ مـاديٌّ لا يـرضي قلبَـك ولا مشـاعرَك، فعنـاصرُ المصالـحِ طاغيـةٌ دونَ

إنسانياتٍ تبلورُ العلاقاتِ، ولكنْ هنا فى حجرةِ الموسيقى رنينَ الصدق، صوابَ اللحظة، منعطفَ المفاجأة، ضوءَ الموسيقى فى سلّم الأحاسيسِ الجميلة : دو. ري. مي..

تكتشفُ نفسَك وحواراتِ الأسئلةِ لتجدَ الإجابة.

هنا الجنةُ بانسيابِ العواطفِ ورقرقةِ الاشتياقِ لإنسانيةِ العناق. تعانقُ اللحظةَ، وترتدي قصةَ ميلادِ السعادةِ داخلَك .إنها الجنةُ يا أستاذي هكذا تحدثتْ عيونُها وترجمتْ تصرفاتُها أقوالَها فى ثوانٍ صامتةٍ إلا من الوصفِ التفصيليِّ للشرحِ الوجدانيِّ بالتواجدِ فى الحدث. أحسَّ الأستاذُ بها، وشعرَ بحوارات عيونِها وشغفِها وطفولتِها وبكارتِها وفطرتِها وشفافيةِ الروح ؛ فأشفق عليها، وطلبَ لها فنجانا من القهوةِ، كلماتُهُ كانتْ بسيطةً رقيقةً برقةِ شياكتِهِ واستقبالِهِ الرائعِ وملامحِهِ السمحةِ الجادةِ، ويديهِ التى تشبهُ أصابعَ البيانو فتحتارُ أنْ تعجبَ بمن بالعزفِ أم العازف..

بدأ يعزفُ ليدخلَ فى سحرٍ آخرٍ، تتوحدُ مع الموسيقى فى عنفوانِ التألقِ الحالمِ والصمتِ، هو الروايةُ الحاكمةُ لسطورٍ مختبئةٍ فى استسلامٍ، وفضولِ انتصاراتِ التأملِ

المأخوذةِ بقوةِ نعومةٍ تجعلُكَ فى أفقٍ بعيدٍ بينَ الخيالِ الرائقِ، وإنذارِ العشقِ يتسللُ فى اشتهاءِ المزيدِ من رغبةِ سماعِ الموسيقى فترتوي الروحُ بانتصاراتٍ تستكينُ بينَ ثرثرةِ النشوي، وحضنِ الانغماسِ فى الجنةِ الساحرةِ بالعزفِ على فرحةِ اللقاءِ الأولِ ؛ ليعلنَ القرارَ، والذى قررتْ بعدَهُ أن تقدِّم على معاشٍ مبكرٍ، وتتركُ كلَّ ما يشغَلُها عن تَعَلُّمِ الموسيقى، وتحيا في جنةِ الحياةِ التى تختارُها قبلَ أن تموتَ بمسئوليةِ العملِ ومشاغلَ أخرى كانت تَحسِبُها نجاحاً، لكنّهُ كانَ نجاحاً بلا سعادةٍ، اكتشفتُ أن السعادةَ هنا مع الموسيقى.

تمسكتْ بالحلم الذي صارَ حقيقةً، سمعت عنها كثيراً حتى لمستها بيديها .

وجه من قصة

نظـرَتْ فى المـرآةِ وجـدتْ وجهـاً آخـرَ غيرِهـا، وجهـاً مليئـاً بالأسـئلةِ والإرهاصـاتِ والتشـتتِ والعيـونِ الدامعـةِ إلى أيـنَ يـا عمـري - تذكـرتْ شريطـاً سـينمائياً يلـفُّ الحجـرةَ، ويتمـدَّد عـلى الجـدران .

سـيناريو الشـخوصِ والألـوانِ والتوقيتـاتِ عـبرَ نظرِهـا بحـورٍ وأمـواجِ السـنواتِ حتـى أجهشـتْ بالبـكاءِ لا تحـبُّ أن تعـودَ لطفولتِهـا وشـبابِها وأعتـابِ الشـقاءِ وأبـواب المسـئوليةِ، وجهـتْ نظرَهـا وروحَهـا اسـتغفرتْ الله، وتوضـأتْ، وصلـتْ الحمـدلله، تحسسـتْ ملامِحَهـا وشـعرَها وعيونَهـا التـى كانـتْ تلمـعُ، و فقـدتْ وميضَهـا.. ذهبـتْ إلى الفـراشِ فاحتضنـتْ الحقيقـةَ، ونامـتْ فى هـدوءٍ. أيقظَهـا شـعاعُ الشـمسِ ومنحَهـا صباحـاً جديـداً أحسـتْ أنّهـا عـلى قيـدِ الحيـاةِ انتـشي قلبُهـا فرحـاً، وعـادتْ مـن جديـدٍ تنظـرُ فى المـرآةِ، وتقـولُ مـا قالـتْ بالأمـس.

بكاءُ الشّجر

الشـجرُ يسـتعدُ للسـفرُ، أغصـانُ الشـجرِ جـرتْ ودخلـتْ إلى المنـزلِ عـن طريـقِ الشرفـةِ لم يسـتريحْ البشرُ لمشـاركةِ الشـجرِ لهـم في الحيـاةِ والتلصـصِ عليهـم فقـرّرُوا قطـعَ أغصانـهِ حتـى لا يعتـدي عـلى خصوصيَّتِهـم وانتقمـوا مـن هـذا المتلصـصِ.

كيـف يسـمحُ لأغصانـهِ أن ترتمـيَ فى أحضـانِ اليـوم وحكايـاتِ العائلـةِ لابـدَّ مـن التخلـصِ منهـا فـوراً قبـلَ أن تسـتوطنَ المنـزلَ وتزحـفُ لتجـدَ لهـا مـأوىً غـيرَ الشـارعِ لـن نخضـعَ لقوانـينَ الشّـجرِ ولكننـا سـنخضِعُها لقوانـينَ البـشرِ، وهكـذا بـدأتْ الحـربُ صبـاحَ يـومِ الجمعـةِ قبـلَ الصـلاةِ افترشـت الأرضَ الأغصـانُ والأوراقُ، ولكنّهـا انتقمت لنفسِـها فوقـع جـزءٌ مـن الغصـنِ الكبـيرِ أمـامَ بـابِ المسـجدِ رغـمَ أنـفِ قاطِعيـهِ وحـالَ بـينَ بـابِ المسـجدِ والنـاسِ ؛ فهرعـوا يسـتنجدون؛ حتـى أبعـدوهُ ودخلـوا إلى الصـلاةِ والأغصـانُ تبكـى قسـوةَ البـشرِ دونَ مبـالاةٍ منهـم وعـادتْ الحيـاةُ، ولم يعـدْ الشـجر، مـاتَ عـلى قارعـةِ الطريـقِ حيـثُ لا صاحـبَ ولا صديـقَ.

عندما قطعوا واعتدوا على فروعِ وأغصانِ الشجرِ تسبّبُوا فى تشريدِ وتشتتِ عشراتٍ من عائلاتِ العصافير، ودمروا أعشاشَ الصغارِ ومأواهُم لن يعلنوا بعدَ ذلك استقبالَ الصباحِ، ولن يتغنوا وينشدوا: صوصوصو، لن يعلنوا أيضا وقت الغروب ويتغنوا للنوم.

بدأ الغبار يغمر البيوت، وتسللت حرارة الشمس إليها، كان الشجر ساترا ناعما وحاميا لهم عُوقبَ الجحودُ، ولم ينفعْهُ الندمُ .

هو

عهِدْناها رقيقةً حالمةٍ تتجلي برونقِها وأناقتِها وروحِها كالفراشةِ، تسبحُ فى عالمٍ يمتلكُ موهبتةً تَرْسُمُ البورتوريه، كأنهُ أغنيةٌ بفضاءاتٍ فى بوتقةِ الذكرى المنقوعةِ فى الجمالِ فتهتزُّ مشاعرُكَ ويدفعُها فى الحوارِ حيثُ ثقافتِها وحكمتِها رغمَ تقاربُ السنواتِ لكنها نشأتْ فى أحضانِ جدّتِها ولقّنَتْها من عطائِها وفصاحتِها ومواهبِها المتعددةِ، فكأنما حررتْ معها عقدَ التشابهِ، فنتسامرُ معها نشعرُبها وكأنها من كوكبٍ آخر. أحلامُها غيرُ أحلامِ البناتِ، نتكلمُ جميعاً عن الحبِّ والزوجِ المنتظرِ الفارسِ المغوارِ والأفلامِ والمسلسلاتِ والملابسِ وتتكلمُ هى عن الكتبِ التى قرأتْهَا والصحفِ التى تابعتْهَا، ورأى فلانَ، وأن مثلَها الأعلى نبويةُ موسى وروزا اليوسف، والكاتبةُ ... قرأتْ لها... وأحستْ... وأعجبها قول شكسبير...

فننظرُ إليها فى تعجبٍ نقبلُها أحيانا، ونتركُها أكثرَ لعدمِ توافُقِنا فى الاستمتاعِ بالحوارِ فهي تُبهِرُنا جميعا بعقلانيّتِها بجدتِها.

فهي الحفيدةُ الكبرى التى نالتْ كلَّ الاهتمامِ والفرحِ من خالاتِها وأخواتِها، فنشأت على التميُّزِ وكان فعلاً من نصيبِها حتى فى قوةِ احتمالِ المحنِ كالأرضِ التى تصرخُ فى صمتٍ، ويزيدُها الصبرُ قوةً، تغرسُ أنيابَ همتِها ووعيِها لتصنعَ نجاحَها هكذا كانتْ، فأتذكرُ أنها بعدَما بلغتْ سنَّ المدرسةِ وكانتْ جدتُها الحنونةُ التى تقطنُ فى حيٍّ راقٍ، وتعيشُ حياةً رغدةً تحوطُها بالحبِّ والأرستقراطيةِ، وكانتْ الجدة تبحثُ عن مدرسةٍ للحفيدةِ بجانبِ منزلِها حتى تكونَ تحتَ رعايتِها، برغمِ أنّ لوالدَ فيفيان ووالدتَها ابنتين وولداً، ولكنَّهما دائما كانا يحلمان باليوم الذي تدخلُ ابنتُهما الكبرى المدرسةَ، وتعيشُ معهما، ومع أخوتِها حتى تجتمعَ الأسرةُ على مائدةِ السعادةِ، لقد قرر الأبُّ والأمُّ أن ابنتَهما لابدَ أن تتركَ جدتَها، وتأتي لتعيش معهما ومعَ إخوتِها، وكفاها ما قضتْ من وقتٍ وما نالتهُ من تدليلٍ من جدّتِها وجدّها، فقدْ حانَ وقتُ تخطيطِ مستقبلِها بينَ أخوتِها.

وباقي على سنِّ التقديمِ للمدرسةِ شهورٍ، ولابدَّ أن يعرضوا الأمرَ على الجدةِ، وبالفعلِ ذهبا يومَ الجمعةِ للزيارةِ المعتادةِ، وعرضوا الأمرَ كأنهُ شيءٌ عاديٌّ، ولكنهما فوجِئَا بردِّ فعلِ الجدةِ وحفيدتِها فيفيان ترفضُ، وتبكي بكاءً شديداً، وكأن نفساً وروحاً واحدةً ستنقسم، ومهما حاول أقناعَهما الأبوان لم يقبلا، وكان هذا الموقفُ بدايةَ الأحزانِ..

رفضَ الأبُّ بشدةٍ وبعنادٍ رأىَ الجدةِ، وأصرَّ على موقفهِ، رغم بكاءِ وعويلِ ابنتُهُ، صلابةُ رأيهِ لم ترحمْ، وحدثتْ مشادةٌ كلاميةٌ بين الجدةِ ووالد فيفيان، وتدخلت الخالاتُ والأعمامُ تهدئةً للموقفِ، ولكن أغلبهم أيَّدوا رأىَ الأبِّ والأمِّ فى أن فيفيان لابد أن تكملَ طريقَها بين أخوتِها مثلما قال الوالدان، وهذا حقُّهُما، وبالفعلِ ورغمَ كلِّ توسلاتِ الجدةِ أصرَّ الأبُّ على موقفهِ، حتى لا يصبحُ الأخوةُ فى فرقةٍ فالجدةُ من أصولٍ أرستقراطيةٍ والأبُّ موظفٌ واختلافُ الحياةِ سيغيِّر وجهَ المستقبلِ أمامَ فيفيان وأخوتِها، اضطرتْ

الجـدةُ أنْ توافـقَ مـع الإصرارِ عـلى انتـزاعِ قـرَّةِ عينيْهـا حفيدتَهـا مـن بـين أحضانِهـا الدافئـةِ الحنونـةِ، مـع الوعـدِ بـأن يكـونَ كلُّ يـومِ جمعـةٍ هـو موعـدُ اللقـاءِ العظيـمِ ؛ لتتنسـمَ عبـيرَ حفيدتِهـا وتمنحَهـا مـن عطاياهـا، وحتـى تطمئـنَ عليهـا.

أخـذَ الأبُّ والأمُّ شـنطةَ ابنتِهـما، ولم يـدركا أن الابنـةَ تركتْ قلبَهـا فى بيـتِ جدتِهـا، وتركـتْ صنـدوقَ الذكريـاتِ السـخيّةِ، والوطـنَ الطفـوليَّ، وشـهادةَ الميـلادِ فى الخمـسِ سـنواتِ الأولى فى التكويـنِ والتلقـينِ والعذوبـةِ المنقوعـةِ فى خزانـةِ البدايـاتِ.

ذهبـت فيفيـان ولكنهـا كطفلـةٍ رحلـتْ إلى أعماقِهـا لم ينتبهوا أن الخمـسَ سـنواتٍ ليسـتْ عابـرةً، ولكنها محفـورةٌ فى فضاءاتِ الـذاتِ وصـلَ الأبـوان إلى منزلِهـما بالغنيمـةِ التـى انتَابَهـا طوفـانُ البـكاءِ والـصراخِ، احتوتْهـا أمُّهَـا عـلى كـفِّ الرحمـةِ، وفـرحَ بهـا أخوتُهـا، ولكـنَّ الطفلـةُ المنزوعـةُ مـن حيـاةِ جدتِهـا انتابتْهَـا الدهشـةُ، فبرغـمِ حفـاوةِ الأخـوةِ والأبويـن هـى بعـض منهـم، هنـاك ملَـكُ منـزلٍ وقلـبُ جدتِهـا سريرُهـا نداؤهـا، كلماتُهـا، الطعـامُ، ونكهتـهُ العذبـةُ حتـى الخادمـةُ ومشـاغبتُها، وتأكيـدُ جدتِهـا اليوميـةِ لهـا عـلى منـحِ فيفيـانَ كـوبَ اللبـنِ صباحـاً

بملعقةِ العسلِ الأبيضِ، ومساءً أيضا، وبعضَ الأطعمةِ المفضلةِ والتى مع الوقتِ فى بيتِ أبيها أحستْ بالفارقِ بين هذا وذاكَ، حتى الحبُّ والحنانُ موزعٌ على الأولادِ أما الجدةُ فالحبُّ والحنانُ لفيفيانَ فقط، والاهتمامُ والملابسُ من أرقي المحلاتِ والحلوياتُ والشيكولاتةُ بالبندقِ لفيفيانَ؛ لأنَها تفضلُها والفونضامُ والمخبوزاتُ والكيكُ صباحاً وبعد المغربِ مع العصيرِ. يا لَها من فوراقٍ فى كلِّ شيءٍ وما هذهِ الضوضاءُ بين الأختينِ وأخيها ما هذا العالمُ الجديدُ الذى هى دخيلةٌ عليهِ، والغرفةُ أيضا مشتركةٌ مع أختيْها، فأينَ غرفَتُها المستقلةُ وعرائسُها ولعبُها والفرشُ الحريريُّ المعطرُ..

ما هذا الوطنُ الغريبُ، وكيفَ تتعاملُ معهُ، هى تقبع فى ذاتها ولكن أمها بين الحين والآخر تلاحقها بالكلمات وتشفق على غربتها وتفك الاشتباك بين أخوتها.

كانت فيفيانُ تحبُّ أن تنظرَ إلى السماءِ والسحبِ والبحرِ، وتنطلقُ مع جدتِها وجدِها فى الرحلاتِ بينما هنا فى الحياةِ الجديدةِ والدُها مشغولٌ بعملهِ إلا قليلاً، ووالدتُها مشغولةٌ

فى المنـزلِ والطعـامِ إلا قليـلاً، كانـتْ تتمنـى أن يـأتيَ يـومُ الجمعـةِ بفـارغِ الصـبرِ حتـى تذهـبَ بصحبـةِ العائلـةِ لجدتِهـا، وترمـحُ بـين دفئِهـا وجمـالِ سـاعاتِ لقائِهـا الحبيبـةِ، وبالتـالي جدتُهـا لا تنسـى أن تودعَهـا بالقبـلاتِ، وتُحـضّرُ لهـا شـنطةَ الزيـارةِ بـما لـذَّ وطـابَ حتـى يكفيَهـا أسـبوعاً كامـلاً حتـى تعـودَ عـلى لهفـةِ اللقـاءِ، وتمنحُهـا المـالَ والملابـسَ. ولكـن فيفيـانَ بمجـردِ أن تصـلَ إلى بيـتِ أبيهـا يتدخـلُ أخوتُهـا فى خصوصيَّتِهـا ويفتحـونَ الشـنطةَ الخاصـةَ بهـا، ويشـاركونَها فى كلِّ شـيءٍ داخلَهـا حتـى الملابـسِ والنقـودِ، كانـتْ برغـمِ حزنِهـا لفقـدِ الكميـةِ المتاحـةِ بسرعـةٍ لأنهـا مقسـمةٌ عـلى أربعـةِ أفـرادٍ بـدلاً مـن فـردٍ واحدٍ،بالرغـمِ مـن ذلـك كانـت سـعيدةً لسـعادةِ أخوتِهـا وفرحتِهـم بالغنيمـةِ. تمـرُّ الأيـامُ بطيئـةً حتـى يـأتيَ يـومُ الجمعـةِ المعتـادِ، ومـع الوقـتِ ودخـولِ المدرسـةِ لم يـفِ الأبُّ بالوعـدِ فبـدلاً مـن كلِّ جمعـةٍ يلتقـي فيـه الأحبـابُ أصبـحَ كلَّ جمعتـين ثـم كلَّ شـهرٍ، وكانَ الهاتـفُ هـو الحـلُّ الأمثـلُ للقـاءاتِ اليـومِ ولكـنْ مـع الوقـت بـدأت غـيرةُ الأخـوة مـن الاهتـمامِ وتمييزُفيفيـانَ عليهـم. فكانـتْ كلـماتُ جدتِهـا بمثابـةِ

الـدواء الشـافي المعـافي وقـررتْ الجـدةُ أن تحـضر كلَّ شـهرٍ مـرةً ؛ حتـى يتسـنَّى لهـا رؤيـةُ الغاليـةِ، ولكـن مـع مرضهـا المفاجـيءِ لم تسـتطعْ الحضـورَ الدائـمَ، وأيضـاً زيـاراتُ فيفيـانَ أصبحـتْ مـرةً شـهرياً لضيـقِ وقـتِ العائلـةِ ولم تنـس الجـدةُ مـدَّ حفيدتِهـا بعطاياهـا وخصوصـاً القصـصَ والمجـلاتِ حتـى تمـلأَ وحدتَهـا وعقلَهـا وتنمـى ثقافتَهـا، أمـا أخـوةُ الغاليـةِ فكانـوا يضحكـون عليهـا عندمـا يجـدوا لديهـا شـغفَ القـراءةِ وحرصَهـا عـلى الحفـاظ عـلى الكتـبِ والمجـلاتِ وحزنَهـا عندمـا يأخـذون منهـا شـيئا ويمزقـوهُ لاسـتفزازِها ويخفـوا عنهـا مـا تفضلـهُ حتـى تسـتعطفَ جدتَهـا فى المزيـدِ مـن الحلـوى والشـيكولاتةِ لتعطِيهـا لهـم حتـى يتركوهَـا وحالَهـا مـع القصـصِ، ومـا تحبـهُ وتمتلكـهُ هكـذا مـرت الأيـامُ تـزدادُ فيفيـانُ غربـةً وعزلـةً مـع القصـصِ والكتـبِ والدراسـةِ، وتـزدادُ الجـدةُ مرضـاً لبعـدِ حبيبتِهـا، وقلـةِ حيلتِهـا كانـتْ فرحـةُ الجـدةِ الوحيـدةِ فى شراءِ أشـياءٍ لحفيدتِهـا لعرسِـها ؛ حتـى تطمئـنَ عليهـا فى المسـتقبلِ إنها أفضـلُ مـن كلِّ بنـاتِ العائلـةِ. جهـزتْ لهـا عـلى مـرِّ السـنواتِ كلَّ مـا يحتاجُـهُ المنـزلُ وكـم زادت هـذه التصرفـاتُ الغـيرةَ بـين

الأخـواتِ لأنَّ الفـرقَ بينهـن سـنةٌ، ولم تسـتعدْ الأمُ لتجهيـزِ البنتـين مثلـما فعلـت الجـدةُ مـع فيفيـانَ، وكان أمـلُ الجـدةِ أن تفـرحَ بحفيدتِهـا بسرعـةٍ قبـلَ موتِهـا بمجـردِ أن حصلـت عـلى الثانويـةِ العامـةِ ألحـتْ عـلى خطبتِهـا مـن واحـدٍ مـن أقاربِهـا، وقبلتـهُ فيفيـانُ إرضـاءً لجدتِهـا وأمِّهـا وأبيهـا، وكانـت الرحلـةُ عـلى الموائـدِ الصعبـةِ ومفاجـأةِ المسـئوليةِ، ودهشـةِ الطريـقِ وبعـدَ الخطبـةِ توفيـت الجـدةُ وازدادت آلامُ الغربـة داخـل الوطـن وفـرت الحريـة مـن أيـدي فيفيـانَ وكانـت تتمنـى فسـخَ الخطبـةِ لـولا تمسـكُ الأمِّ والأبِّ وبعـضِ الأقـاربِ تقربـاً إليهـا بالنصـحِ، والخطيـب كان يحبُّهـا ويغـدقُ عليهـا بالكلـماتِ الرقيقـةِ، والحنـو، قبـلَ الخطبـةِ وعدَهـا هـى وأسرتُهـا أن يكـونَ مسـكنُ الزوجيـةِ بجانـبِ جدتِهـا وهـذا أسـعدَها كثـيرا، وكان مـن أهـمِّ عوامـلِ موافقتِهـا عـلى الخطبـةِ حيـث إنَّ منـزلَ عائلـةِ الخطيـبِ قريـبٌ مـن منـزلِ جدتِهـا، وهـذا سـيُخرِجُها مـن سـجنِها في بيـتِ الأبِّ والأمِّ والعائلـةِ.

لذلك أصرتْ بعدَ وفاةِ جدتِها على عدمِ الاستمرارِ فى الخطوبة، واعتبرتْ وفاةَ جدتِها علامةَ تشاؤمٍ من هذا الخطيبِ ؛ فطلبتْ من عائلتِها الاعتذارَ له وبرغمِ محاولاتٍ عديدةٍ منهمْ لتغيِّر رأيَها لكنها أصرتْ على قرارِها، وعلى منحِها فرصةً دونَ ارتباطٍ لتستعيدَ توازنَها مرةً أخرى.

هيَ والقاهرةُ

تجلسُ وفاءُ في شرفةِ منزِلِها الجديدِ، وتمضِي بناتُ أفكارِها ؛ لتعودَ سنواتٍ وسنواتٍ حفرتْ أحداثُها في ذاكِرَتِها وعلى جلدِهَا الكثيرَ من العلاماتِ التي لم يستطعْ أن يمحوَها الزمنُ، ولا مرورُ الأيام، وضعت يدَهَا على خدِّهَا، ونظرتْ إلى السماءِ..

لم تستسلمْ وأصرتْ على تحقيقِ أحلام أولادِها. حيثُ توقَّفَ الأبُّ عن المشاركةِ فى خطتِها واكتفي بالاقتناع والموافقة على كل ما ستفعل ؛ لأنه خرجَ على المعاش، وبلغَ سنَّ التقاعدِ، ولم يعدْ قادراً على المراوغةِ والحوارِ الصائبِ مثلماً كان.

ولأنهُ أيضاً أُصيبَ بمرضِ السكرِ والقلبِ والضغطِ، وارتفاعِ الكولسترول فى الدمِ والنقرسِ، ورفضَ أن يتمَ علاجُهُ ببطاقةِ التأمينِ الصحيِّ بل ذهبَ لطبيبٍ خاصٍ، ورفضَ أن يضحيَ بأيِّ شيءٍ تعوّدَ عليهِ.. مهما كانَ احتياجُ الأسرةِ، وتعلّلَ بأنهُ قد أعطى الكثيرَ، ولابدَّ أن يحترمَ الجميعُ رغباتِهِ فيكفيهِم هذا الكثيرُ من التعاونِ الذى

يقومُ به مِن شراءِ مشترواتٍ، وإعدادِ بعضِ الوجباتِ حسبَ مقدرتِهِ وأصبحتْ وفاءُ تضطرُ لهدهدةِ أبنائِها وإقناعِهِم بموقفِ الأبِّ تحسباً للخلافاتِ، وحتى يستكملوا دراستَهُم الجامعيةَ بسلام. ويعملوا وحين ذاك ستنتهي بعضُ المشكلاتِ الماديةِ على الأقلِّ ففكرتْ أن تقومَ ببيعِ السيارةِ التى تمتلِكُها، وتشتري بثمنِهَا شهادةَ استثمارٍ بعائدٍ شهريٍّ يساعدُ على المعيشةِ مع مرتبِها، ومعاشِ زوجِها، ولا تعطي بالاً لزملائِها وأقاربِها بل كلُّ هدفِها أن تسيرَ السفينةِ بسلام بالأولادِ، وفعلاً تحاملتْ، وصبرتْ واجتهدتْ، وتبادلتْ مع زوجِها الأدوارَ هى في العملِ وزوجها فى البيت بعد خروجِهِ على المعاش.

علمتْهُ عملَ بعضِ المأكولاتِ، وحاولَ بدورِهِ أنْ يجدَ بديلاً لعملِهِ بأنْ يقومِ بمهامِ الطبخِ على الأقلِّ. يشاركُ بها زوجتَهُ وأولادَهُ، وهم بدورِهِم تَحَمّلُوا مزاجَهُ المتقلِّبَ، ودوافعَهُ النفسيَّةَ، والصحيةَ يرفض يوماً، ويقبلُ أن يساعدَ، ويساهمَ فى إنجازِ الأعمالِ المنزليِّةِ.

مـع الوقـتِ فكـرتْ الأمُّ أنْ تُكمِـلِ تعليمَهَـا، وتنتسـبُ إلى الجامعـةِ المفتوحـةِ حتـى تُغـيّرَ مسـارَ الحيـاةِ للأفضـلِ، ويرتفـعُ شـأنُها فى العمـلِ وتنـالُ الترقيـاتِ وفعـلاً عرضـتْ الأمـرَ عـلى الـزوجِ والأبنـاءِ فلـم يجـدوا سـبباً لعـدمِ الموافقـةِ ؛ لأنَّهـا الوحيـدةُ القـادرةُ عـلى خـوضِ معركـةِ الحيـاةِ بفكـرٍ واعٍ وحكمـةٍ ونجـاحٍ كـما عودتْهُـم.

وبـدأت التجربـةُ مـع العمـلِ، وجاهـدتْ بـكلِّ مـا لديْهـا حتـى تحصـلَ عـلى البكالوريـوس الـذى سـيغيرُ وجـهَ المسـتقبلِ للأفضـلِ.

وتخـرجَ الأبنـاءُ مـن الجامعـةِ أيضـاً وبـدؤوا رحلـةِ البحـث عـن عمـلٍ، وبعـد مـدةِ بحـثٍ طويلـةٍ حصـل كلٌّ منهـم عـلى عمـلٍ فى القطـاعِ الخـاصِ، وبالطبـعِ مـا يحصلـون عليـهِ مـن مرتبـاتٍ لا تكفـى إلا مصروفَهـم الشـخصيَّ وملابسَـهم، ولكـن الأمُّ كانـت دائمـةَ التشـجيعِ لهـم ليحصلـوا عـلى دراسـاتٍ عُليـا لتتسـعَ أمامَهُـم فـرصُ العمـلِ، ولرفعِ مسـتوى المهـارات الشـخصية لهـم، وبالفعـلِ كانـتْ الحيـاةُ معظمُهـا

دراسةٌ، وعملٌ وقليلٌ جدا من الترفيهِ أو الرحلاتِ حتى أكملتْ الدراسةَ هى أيضاً. وانتقلتْ ونالتْ ترقيةً أعلى بالبكالوريوس، وغيرتْ محوريةَ العملِ، والزملاء القدامىَ، والأبُّ كما هو لا يغيّرُ ولا يتغيّرُ. يشاهدُ أكثرَ مما يشاركُ ويكتفي بما يقدمُه.

حتى حدثتْ المفاجأةُ فقد كانَ الابنُ دءوبا، ودائمَ السعيِ للحصولِ على عملٍ فى إحدى الشركاتِ الكبرى، وبالفعلِ تمَّ استلامهُ للعملِ الجديد بالقاهرة، ولأن الابنةَ أيضاً تعملُ في شركةٍ لها فرعٌ بالقاهرةِ، وهى حصلت على دراساتٍ عليا تؤهّلُها للانتقالِ مع أخيها للقاهرةِ، وبعد نقاشٍ ومحاولاتٍ كي توافقَ الأمُّ . وقد أستطاعتْ هي الأخرى أن تنقل عملها، وأصبحت أعمالُ الجميعِ بالقاهرة.. والأبُّ معهُم بالتبعيةِ فليس لهُ إلا الموافقةُ، تمكنت وفاءُ من بيعِ منزلِها فى المحافظةِ الصغيرةِ وبمعاونةِ أقاربِها فى القاهرةِ حصلتْ على شقةٍ (قانون جديد) لجمعِ شملِ الأسرة ، ورحّبَ الجميعُ بالحياةِ الجديدةِ فى المدينةِ الكبيرةِ الشاهقةِ الساحرةِ التى كانت حُلماً للجميعِ حاولتْ هى وأبناؤها التكيفَ مع الحياةِ، والتعايشَ مع الأقاربِ

الذين اقتربوا منهم أكثرَ بحكمِ أنهم فى مساحةٍ متقاربةٍ في الجيرةِ والسكنِ.

حاولتْ الأمُّ بكلِّ ما لديْها أن تصنعَ النجاحَ فى عملِها الجديدِ، وتحمّسَ أبناؤها أيضاً كما تعودُوا منها رغم صعوبةِ الأجواءِ والغلاءِ والبعدِ عن الأصدقاءِ والذكرياتِ لكنهم أصروا على الصبرِ وخوضِ التجربةِ لتحسينِ وجهِ الحاضرِ والمستقبلِ.. ولم تستسلمْ هى للركودِ والمرضِ وحزنِها على أنها الأمُّ والأبُّ، فالمشوارُ شاقٌ ولابدَ من المواصلةِ رغمَ وصولِها لسنِ الخمسين، وكانَ أملُها أن تخرجَ على المعاشِ المبكِّرِ ؛ لأن آلامَ الفقراتِ أشتدَّ عليها، وعلاماتُ السنين لم ترحمْها من الفكرِ والاجتهادِ بأقصى درجاتِ التحملِ حتى تكونَ دائما قدوةٌ لأبنائها.

وكانَ ما يسعدُها هو المداومةُ على القراءةِ فهي قارئةٌ نهمةٌ، وتعشقُ الرسمَ منذُ الصغرِ، ولها بعضُ اللوحاتِ التى تؤنسها فى وحدتِها، وتهوّنُ عليها مساراتِ الحياةِ الخشنةِ القاسية.

بالصدفةِ تعرفتْ على جارتِها المبدعةِ التى كانَ لها بعضُ الكتاباتِ الأدبيةِ هى قاصةٌ وروائيةٌ وجمعتهُما صداقةُ الفنِّ

والأدبِ، ونصحتْها بالتواجدِ معها بقصرِ الثقافةِ الذى يبعدُ قليلاً عن السكنِ وبالفعلِ وجدتْ وفاءُ ضالتَها المنشودةَ، وتعرفتْ على مجموعةِ فنانينَ من خريجي الفنونِ الجميلةِ وتعرّفتْ أيضاً على مجموعةٍ أخرى من الهواةِ مثلِها، وبدتْ الحياةُ من دوائرَ أخرى أضافتْ البهجةَ لها، ولكن عليها أن توازنَ الوقتَ والجهدَ حتى لا يتأثرَ العملُ، ومنصبُها الجديدُ يحتمُ عليها التركيزَ الشديدَ، وعدم الحصولِ على الأجازات. حاولتْ بقدرِ المستطاعِ أن يكونَ يومُ الأجازةِ الأسبوعيِّ الجمعةِ للمنزلِ والأولادِ، والسبتُ بعض الساعاتِ لها على الأقلِّ، المهمُّ أن هذا الاقترابَ من عالمٍ تفضلُهُ هو إضافةٌ لها بالتأكيدِ. ولكنْ تواجهُهَا مشكلةٌ ملحَّةٌ تريدُ حلًّا سريعاً لها، وهى السكنُ فلقدْ ادخرتْ بعضَ المالِ، ومن الممكِنِ أن تستغني عن بعضِ المشغولاتِ الذهبيةِ التى معها فى سبيلِ أن تنتقلَ إلى سكنٍ تمليكٍ بدلاً من الإيجارِ الشهري المرتفعِ الذى يزيدُ كل عامٍ.

أوصتْ بعضَ الزميلاتِ فى العمل وأيضاً استعانتْ بسمسارِ المنطقةِ، وظلتْ تبحثُ حتى اقترحتْ عليها إحدى الزميلاتِ، أن تطلبَ سلفةً من الشركةِ من

مكافأة المعاشِ حتى يزيدَ المبلغُ وتستطيعُ الحصولَ علِى سكنٍ يناسبُها فى مكانٍ أفضلَ، وبالفعل كان اللهُ ييسرُ لها كلَّ عسيرٍ لأن قصدها خيرٌ لأسرتِها، وتمكنتْ بمعاونةِ إحدى الزميلاتِ من الحصولِ على شقةٍ فى مكانٍ يعتبرُ متميزاً، على مسافةٍ مناسبةٍ من الخدْمَات المعيشيةِ اليوميةِ ؛ فقررتْ فوراً أن تحضرَ فى اليومِ الثاني لكتابة عقدِ التمليكِ بعد مقابلةِ صاحبِ العقارِ والاتفاقِ معهُ على دفعِ مبلغِ وتقسيمِ الباقي على أقساط ، وبالفعلِ كان لها نصيبٌ فى الحصولِ على هذا السكنِ الحلمِ، وتمكنتْ من الانتقالِ بعد شهورٍ.

احستْ أن الحياةَ ابتسمتْ لها وعوضها اللهُ خيرا لاجتهادِها وصبرِها على كلِّ الابتلاءاتِ ولكن حدثت المفاجأة.

وبعدَ أن استقرتْ شاءتْ الأقدارُ أن تحدثَ ثورةُ ٢٥ يناير ٢٠١١ م، وانقلابُ الحياةِ رأساً على عقبٍّ، وانفلاتٌ أمنيٌّ، وفزعٌ، وبلطجةٌ صاخبةٌ تهزُّ استقرارَ البلادِ.

الجميلةُ

يطلقونَ عليها:الجميلة..

كانتْ بينَ زميلاتِهَا فى العمل أجملُهُنَّ وأعقلُهُنَّ دائماً يلجأْنَ إليها لحلِّ مشاكلِهنَّ، ولا ينتبِهْنَ للحزن القابع فى الصدرِ، والسرِّ الذى توارَى خلفَ السكينةِ، وزوجُها علامةُ استفهام، فى قولِها لا تُثْرِثُرُ مثلَ الأخرياتِ، وكلُّ من يمنحُها سؤالاً عن زوجِهَا تجيبُ :هو بخيرٍ حتى تطوي صرختَها داخل السنين. ولا تبحرُ فى السردِ معهُم وعلى مرِّ الأيامِ يتابِعُها الزملاء..

زوجُها لديهِ سيارةٌ صغيرةٌ، فى موعدٍ ثابتٍ يوصّلُها إلى بابِ الشركةِ التى تعملُ بها، ويذهبُ ثم يعودُ فى موعدِ الانصرافِ ليعودا سوياً للمنزل هو رجلٌ هادئٌ وسيمٌ، لكنه يخبِّئ مشكلةً معضلةً تكادُ تكونُ هى السببُ فى انقلابِ حياتِهِ رأساً على عقبٍ، لقدْ شبَّ خلافٌ عنيفٌ بينهُ وبينَ رئيسِهِ فى العملِ، وقرَّرَ فى لحظةِ انفعالٍ أن يتقدمَ لشئونِ العاملينَ بطلبِ معاشٍ مبكرٍ، فمعَ تكرارِ الاستفزازِ كان ردُّ الفعلِ الغاضبِ المتعجلِ دونَ أن يخبرَ زوجتَه.

شجّعهُ على ذلك صديقُهُ الحاقدُ وهو فى غفلةٍ من التعقلِ والتروي. أرسلَ الطلبَ، ولأنهُ كانَ يشغلُ منصباً

مهماً، فقدْ أوهمهُ غرورُه أن رؤساءه لن يتخلَّوْا عنهُ أبداً؛ لأنه الأفضل دائما. ولكن الكارثةَ المفاجئة أن أعداءَه وأصحابَ المصلحةِ في إبعادهِ انتهزوا هذه الخطوةَ، وأوغروا صدرَ رؤسائِهِ ؛ فتمت الموافقةُ من رئيسِ الشركةِ على خروجهِ إلى المعاشِ المبكرِ بالفاكس.

عندما أبلغوهُ بذلك الخبرِ لم يصدقْ سرعةَ الأداءِ. ولكنهُ حتى الآنَ لا يعلمُ الأيادي الخفيةَ التي فعلتْ ذلك، فكثيراً ما تخفي الأنا العاليةُ الحقائقَ. ونصحو من النومِ بعدَ فواتِ الأوان . كلُّ هذا مرَّ كأنهُ شريطُ فيديو أمام عينيه بعد أنْ تركَ الشركةَ ليعودَ غدا لاستكمالِ إجراءاتِ مستحقاتهِ الماليّةِ..

ماذا يقولُ لزوجتهِ أمِّ أولادهِ، وماذا يفعلُ هو فى وقتِهِ، ويومِهِ، أسئلةٌ كثيرةٌ تدورُ فى رأسهِ حتى وصلَ للمنزلِ، وعرضَ الأمرَ على الجميلةِ التى كادتْ أن تنهارَ من هولِ المفاجأةِ، ولكن ماذا تفعلُ ولقد أصبحَ أيُّ اعتراضٍ تحصيلَ حاصلٍ، فخروجُه إلى المعاشِ المبكرِ صارَ واقعاً يجبُ التسليمُ به .

ادارتْ الحيـاةُ بصـورةٍ أخـرى وكانَ الاعتـمادُ عليهـا أولاً وأخـيراً ؛ لأن معـاشَ الـزوجِ لا يكفـي مـا تبقَّـى مـن أحـلامِ الأولادِ، وطموحـاتٍ فى التغيـيرِ فلقـد تشـبَّثَ الحـزنُ بالحـاضرِ وتشـبثتْ الحـيرةُ بالمسـتقبل.العناءُ كثـيرٌ ولابـدَّ مـن عمـلِ ميزانيـةٍ تكفـى احتياجـاتِ الأولادِ، وهـى التـى كانـتْ تتمنـي، لقـد توقفـت الأمنيـاتُ.

وبـدأ الجـمالُ فى الشـحوبِ مـن كثـرةِ الاحتياجـاتِ والفكـرِ. والـزوجُ الـذى أصابـهُ المـرضُ والوهـنُ بسـببِ قراراتِـهِ السريعـةِ، وهـو فى بدايـةِ الخمسـين مـن عمـرِهِ، تحاملـتْ الجميلـةُ عـلى نفسِـها، وقـادتْ سـفينةَ الأسرةِ بـكلِّ مـا لديهـا مـن مهـاراتٍ، وحاولـت قـدْرَ المسـتطاعِ ألَّا يعلـمَ أحـدٌ مـن زملائِهـا شـيئاً عنهـا حتـى لا تكـونَ مصـدراً للقيـلِ والقـالِ، وهـم يحسـدونَها عـلى حياتِهـا وجمالِهـا وزوجِهـا الـذى يعتنِـي بهـا دومـاً ذهابـاً وإيابـاً، ولا يعلـمُ أحـدٌ إنَّـهُ بمجـردِ أن يوصِّلَهـا للعمـلِ يذهـبُ إلى سـوقِ الخضـارِ ليشـتري مـا يحتاجُـهُ البيـتُ حسـبَ تعليـماتِ الجميلـةِ، هـو ينظـفُ ويجهـزُ حتـى موعـدِ عودتِهـا مـن العمـلِ، فيذهـبُ إليهـا في الشركـةِ ؛ ليعـودَ بهـا للمنـزلِ، ويُعـدّان الغـداءَ سـويّاً

ثم يذهبُ بعدَ ذلك إلى المقهى حيثُ اعتادَ على ذلك ويترُكُها مع الأولادِ، ويعودُ مساءً ليتكرَّر المشهدُ كلَّ يوم ويزدادُ الزملاءُ فضولاً من رزَانتِها وهدئها، ويحسبون أنَّ زوجَها هو السببُ الأولُ فى اتزانِها وإشراقتِها، ولا يعلمون ما تخبئ الأيامُ من حقائقَ، أنَّ الخلافاتُ تزدادُ، وتتفاقمُ ؛ لأن الزوجَ يرفضُ أن يعملَ إلا مديراً، ولم يجدْ أيَّ عملٍ يليقُ به. وتشتدُّ الأزماتُ بينهُ وبين الأولادِ، حيثُ عدم التواصل بينَهُ وبينَهُم، وتصبحُ الجميلةُ والأولادُ فى وادٍ والأبُّ فى وادٍ آخر.

وعندما يشتدُّ المرضُ عليها تُضطَرُّ للمكوثِ فى البيتِ فى أجازةٍ مرضيةٍ من الشركةِ، وتتطوعُ بعض الزميلاتِ ويزورْنَها بالمنزلِ، ولفضولِ بعضهن تسألُ إحدى الزميلاتِ والدةَ الجميلةَ عن بعضِ الخصوصياتِ التى كانت تأملُ معرفتَها هى وبقيةُ الزميلاتِ، ولأنَّ الوالدةَ خافتْ على ابنتِها من حسدِ زميلاتِها فقد حكتْ لها الجميلةُ أن الجميعَ يحسدونَها وزوجَها على نظامِهما، وإنها تقولُ عنه كلَّ خيرٍ، ولا تشكو مثلهن، ولأنها مثالُ الحكمةِ فى حلِّ المشكلاتِ التى يعرضْنَها عليها- فراحتْ الأمُّ تحكي لزميلتِها لتنقذ

ابنتها من العيونِ الحاقدةِ المتربصةِ، حكتْ لها عن بعضِ مشكلاتِ الزوجِ الذى لا يعملُ من سنواتٍ، ويعتمدُ على ابنتها مادياً ومعنوياً، ويذهبُ إلى المقهى يومياً ولا يراعى الأبناءَ، حكت عن الفجوةِ التى بينهُما، كلُّ ذلك والجميلةُ لا تدري شيئاً، ولا تعلمُ أنَّ الأمَّ لم تغلقْ فمها وظلّت تحكي حتى حضرَ الزوجُ بالصدفة، وقتها فقط أغلقتْ الأمُّ فمَها وأغلقتْ البابَ خلفَ الزميلةِ وكأنها لم تفعلْ شيئاً.

وعندما شفيت الجميلةُ وعادتْ للعملِ وجدتْ الجميعُ فى العملِ يواسيها على أحوالِها فلقدْ تسرَّبَ حكْيُ أمِّها عن حياتِها إلى الكلِّ، وتغيرَتْ معاملةُ الزملاءِ لها، زميلتُها التى كانتْ تُلمّح لها بزواجِ ابنِها من ابنتها الجميلةِ، وحددوا موعدَ المقابلةِ اعتذرت، وأيضاً ابنةُ زميلتِها التى تمتْ موافقتُها على الخطوبةِ من ابنِ الجميلةِ تعللتْ بأن الابنَ قد يكونُ متسرعاً فى قراراتِه مثلُ أبيهِ، ولا يقدِّر قيمةَ الأسرةِ، ويفضلُ الجلوسَ على المقاهي ؛ فالولدُ دائماً ما يقلدُ الأبَّ. وبدأتْ الحياةَ بقهرٍ مجتمعيٍّ آخر لا ذنبَ لها ولا لأولادِها فيه.

أمسيةٌ

دقَّتْ أجراسُ العامِ الجديدِ، وفوجِئتْ حلا بخطابٍ من اللجنةِ الثقافيةِ بواحدٍ من مراكزِ الشبابِ، والتي ترأسُها صديقتُها سها، وهي عضو فيها، الخطابُ يدعوها للمشاركةِ بمحاضرةٍ أو بحثٍ أو قصيدةٍ في فاعليةٍ سيقيمُها في منتصفِ شهرِ يناير المقبل .، ولأنَّ سُها صديقةَ حلا تعرفُ أن لحلا مشاركاتٍ ثقافيةً وأدبيةً متعددةً، رأتْ أن تبدأَ العامَ الجديدَ بتفعيلِ النشاطِ الثقافيِّ المهملِ في مراكزِ الشبابِ، فالأنشطةُ المفعلةُ رياضيةٌ ورحلاتٌ فقط، وعرضتْ الفكرةَ على مجلسِ الإدارةِ فوافقَ على أن تقدمَ خُطَّةَ العملِ بالتفصيلِ لثلاثةِ شهورٍ قادمةٍ، وتحمّستْ لكي تصنعَ تنوعاً تستفيدُ منه كلُّ الأعمارِ التي ترتادُ المركزَ، وتجذبُ مختلفَ الأعمارِ لنشاطٍ ثقافيٍّ وأدبيٍّ، يغذي الروحَ كما تغذي الرياضةُ الجسمَ، فاقترحتْ أن تبدأَ بأمسيةٍ شعريةٍ فنيةٍ، ولأن لها صداقاتٍ كثيرةً في الوسطِ الأدبيِّ والثقافيِّ رأتْ أن تستعينَ بهم لمساندتِها في إنجاحِ هذا النشاطِ، ولأنَّ مجلسَ الإدارةِ جديدٌ فأيُّ نجاحٍ ستُحقِّقهُ سيدعمُه المجلسُ، وبدأتْ في التجهيزِ فاختارتْ يومَ الجمعةِ لأنهُ كعطلةٍ

سيتيحُ لها عدداً أكبرَ من أيِّ يومٍ يمكنهُ أنْ يحضِرَ بلا اعتذاراتٍ بسببِ العملِ بعضَ اليومِ أو طولَ يومِ العملِ، واختارتْ السادسةَ مساءً حتى لايكونَ الوقتُ مبكراً ولا متأخراً، جهزتْ القاعةَ، ودعتْ الضيوفَ واتفقتْ مع من سيتحدثُ، واختارتْ مجموعةً من المساعدين والمساعداتِ، ولم تلتفتْ لكلِّ منْ حاولَ أنْ يحبطَها أو يقلِّلَ من قيمةِ ما تعملُ من المنافسين الذكورِ الذين يحبون أن يمرَّ كلُّ عملٍ ناجحٍ من خلالِهم أو من المنافساتِ اللاتي لا يعجبْهُنَّ شيءٌ، ولا ينظُرْنَ إلا للجزءِ الفارغِ من الكوبِ، لقد كانتْ هي وزملاؤُها الجدُدُ مؤمنين بأهميةِ وقيمةِ العملِ الذي يقدمونَهُ، وأهدافِه النبيلةِ، وأهميتِهِ في تنميةِ قدراتِ الشبابِ ورواد المركز، وعندما رأى الجميعُ جديتَها انضمتْ إليها مجموعةٌ من رائداتِ الأشغالِ اليدويةِ والتطريزِ والتفصيلِ، فعززوا فكرَتَها الإنمائيَّةَ، وزادوا من ثقتِهَا في قدرةِ وكفاءةِ المرأةِ، وعملتْ على أنْ تنضمَّ إليها بعضٌ من رائداتِ الأنشطةِ الرياضيةِ أيضاً لإثباتِ أنَّ المرأةَ جديرةٌ بالريادةِ والقيادةِ والنجاحِ، استقطبتْ مجموعةً من الشبابِ والشاباتِ، وعقدَتْ عدَّةَ اجتماعاتٍ لمناقشةِ برنامجِ الأمسيةِ

الثقافيةِ الأدبيةِ كي يَرضي الجميعُ، وتستفيدُ منهُ أكبر نسبةٍ من المشاركين فيهِ، مع إضَافةِ فقراتٍ تُزيدُ من تواصلِ الحضورِ مع المنصةِ مثل :المسابقاتِ والجوائزِ الفوريةِ، ووجودِ مطربٍ وعازفٍ وشاعرٍ وشاعرةٍ مع مجموعةٍ من المواهبِ ولتنفيذِ هذا النشاطِ لابدَّ من ميزانيةٍ لكي ينفذَ على أكملَ وجهٍ، وهنا كانتْ أولُ صدمةٍ، رفضَ مجلسُ الإدارةِ تخصيصَ أيةِ ميزانيةٍ لهذا النشاطِ فالمتاحُ من أموالٍ لدي المركزِ يكفي بالكادِ الأنشطةَ الأساسيةَ، وكلُّ ما سيساهمُ به المركزُ القاعةَ ووحدةَ الصوتِ الموجودةِ لديه .

ومع إصرارِ سها على تنفيذِ البرنامجِ كانَ لابدَّ لها من أن تدبرَ هذه المصروفاتِ الضروريةَ، اتصلت بكلِّ المشاركين، وعرضتْ عليهم الأمرَ، فأيدوا فكرَتَها وإصرارَها على تنفيذِ البرنامجِ، وأنهم سيحضرون متطوعين، وساندتْهَا صديقَتُها حلا أيضاً، وقالت لها: إنها ستوفرُ مجموعةً من الكتبِ من عندها ومن بعضِ الزملاءِ والزميلاتِ لتكونَ الهدايا التي ستقدمُ في الحفلِ، وبقيتْ مشكلةُ المطربِ والعازفِ، وأخذت سها وحلا تفكران كيف تُحلُّ المشكلةُ ..

استطاعت حلا أن تقنعَ جارَتَها أن يشارك ابنُها المطربُ الشابُّ الذي يغني مع كورال الأوبرا في الحفلِ، وأنْ يَحضرَ معهُ زميلٌ وزميلةٌ كمتطوعين للمشاركةِ في الحفلِ، وبذلك تم إبلاغُ المجلسِ أن الأمسيةَ الثقافيةَ الفنيةَ ستقامُ في موعدها

حاولَ مجلسُ الإدارةِ القديمِ عرقلةَ الأمسيةِ بكلِّ الطرقِ لأنَّ نجاحَها سيبرزُ فشلَهُ السابقَ في عملِ مثلِ هذه الأمسيات ، كذلك كيف تنجحُ امرأةٌ فيما فشلَ فيهِ الرجالُ أخذتْهُمُ العَزةُ بالإثْمِ فاتفقوا أنْ يفسدوا الأمسيةَ بأيةِ طريقةٍ مشروعةٍ أو غيرِ مشروعةٍ .

اتفقوا أن يقومَ البعضُ بالتشويشِ على الأمسيةِ ويقوم البعضُ الآخرُ بتعطيلِ أجهزةِ الصوتِ، وكانت سها محظوظةً فقد سمعت صديقتُها كلامَ الأشرارِ بالصدفةِ، وأبلغتهُ لسُها وأخذتْ حذرَها

واختارت قاعةً مغلقةً، واعدت فيها توصيلاتِ الصوتِ، ووضعت حارساً على البابِ من الداخلِ وآخرَ من الخارجِ ..

ومن حسنِ الطالعِ أنْ وافقتْ نائبةُ البرلمانِ عن المنطقةِ التي يوجدُ بها المركزُ على حضورِ الندوةَ، وإلقاءِ كلمةٍ

عـن دورِ الأنشـطةِ الثقافيـةِ والأدبيـةِ في تنميـةِ وعـي الشـبابِ، وفي التمكـينِ للمـرأةِ ونـشرِ ثقافـةِ السـلامِ، ورفـعِ مسـتوى المشـاركين فكريـاً وثقافيـاً، وبيـانِ أهميـةِ الفكـرِ والثقافـةِ بجانـبِ الرياضـةِ .

رحَّـبَ مجلـسُ إدارةِ المركـزِ بحضـورِ النائبـةِ فهـي فرصـةٌ لمسـاندةِ طلبـهِ بزيـادةِ ميزانيـةِ الأنشـطةِ التـي تُقدِّمُهـا لـه وزارةُ الشـبابِ والرياضـةِ، حتـى أعضـاءُ المجلـسِ القديـمِ عندمـا علمـوا بحضـورِ النائبـةِ ابتعـدوا عـن أفكارِهِـم الشـيطانيةِ، وعملـوا عـلى أن يشـاركوا في الترحيبِ بهـا، وحضورِ الأمسـية ..

بـدأتْ الأمسـيةُ في موعدهـا، وصفـقَ الحضُـور طويـلاً وحـلا تلقـي قصائدَهـا :

قالت في قصيدتها الأولى :هدايا السنة دي

تعبنا خلاص م الأحزان

م الإرهاب م الإجرام

هدايا السنة دي

خليها ورق

مكتوب

عن قيمة الإنسان

عن معنى الحب في الأديان

عن كلمة صدق وتسامح

سلام وأمان

وبالإمكان

بشوية جهد هنتغير

وإيد في الإيد هنتطور

وهنعمر

عملنا الصحوة بتنور

يا أمة اقرأ الكاملة

بداية رسولنا قالها لنا

علامة ف ديننا إسلامنا

نواجه كل أعداءنا

ونفهم ناس بتهدمنا

في ناس عايزه تشكلنا

على كيفها ،وتسرق

كل خيراتنا

مؤامرة كبيرة كاشفينها

على دينا على بلادنا

تعبنا خلاص يا أحبابنا

تعالوا نفوق

تعالو نفوق

وما نصدقش أعداءنا

ولا نسمح في يوم مره

لفتنتهم تفرقنا

أكاذبهم هتقسمنا

ح تكسر حب جوانا

حتهزمنا

تعالوا بحب نتواعد

نصون ف بلادنا وولادنا

بوعي نعود لأمجادنا

بوحدتنا

مواطنة فيها قوتنا

ونتعايش بصحبتنا

مسلم مسيحي دياناتنا

ومعتقداتنا وقيمتنا

ومصريتنا إيد واحدة

في وحدتنا

.....

-وتقول في قصيدة :وطن بلا تدخين :

أتمنى وطن من غير تدخين

ولا قلب موجوع وحزين

ولا طفل يبكي من فقره

وأبوه مش قادر مسكين

نفسي نعيش ويا ضميرنا

من غير أمراضنا وآلامنا

وتلوث تاعب أبدانا

بسيجارة ودخان دمرنا

ليه تستعجل موتك موتنا

وأنا مالي يا أناني أنا مالي

أنا عمري ما دخنت سيجارة

سيجارتك سموم جايه لي

أنا عايزه أعيش ويا أمالي

أتعلم وأطور حالي

أنا جايه الدنيا أعمرها

واحافظ على عمري ومالي

في طبيعة جميلة بأحوالي

إنسان متصالح مع نفسه

وإيمانه يخرجه من يأسه

أنا عايشه وياك مطحونة

وبلادنا محتاجه معونة

بتضيّع حقي في دخانك

وكأن سيجارتك دي أمانك

بتواسي ضعفك وظنونك

دخانها بيهدم مفهومك

وبيضحك وياك على أصلك

وتفوق على مرضك أو كسرك

ولا روحك تتلاقى في روحك

تتذيني وتدمر نفسك

دخان بيجرجر في همومك

صدرك أسود رئتك تهلك

وإيمانك فين ويا إرادتك

ووصايا رسول من ربك

تتذيني تتحمل ذنبي

أتمنى أعيش وتكون جنبي

من غير دخان يمرض قلبي

أرجوك وبحق أخوك

وأبوك واختك وأمك

زوجتك ابنك بنتك

بلدك عمرك ربك

من حقي أعيش من غير تدخين

ولا قلب يكون موجوع وحزين

باتمنى وطن

من غير تدخين

.....

وتقول في قصيدة :دعوة للحب :

بدعوة حب

نقول يارب

تقرب كل قلب لقلب

ونزرع تاني شجرة حب

وننسى البعد

وننسى الكرب

يا صحبة خير

دوام فرحك

ف إيد مع إيد

يزيل جرحك

بعمر جديد

بدعوة حب

يعيد إحساسنا

بسمة صدق يوم العيد

يكون الود ضد الحقد

بنوره سعيد

وضمة حضن طموحتنا

نعيد تشكيل وجود ذاتنا

دفا جوانا ف وجودنا

بدعوة حب

ننادي بود ع الأصحاب

تفاؤلنا يدق الباب

ويبقى خلافنا

ذوق وعتاب

ووردة هدية للي غاب

نسامح لو كبيرنا عاب

بدعوة حب

وعودة روح بتجمعنا

صباح الخير وله معنى

لأحلى كلام

بدعوة حب للأيام

بهمسة شوق للأحلام

نعيش واقع لأغلى سلام

نقوم نبدأ

يكون مبدأ

يغيّرنا

ويولدنا

يفرحنا ويسعدنا

بلمتنا وصحبتنا

ف دعوة حب

نقول يارب

تقرب كل قلب لقلب

ونزرع تاني شجرة حب

ف دعوة حب نقول يارب

.....

كما أعجب الحضورُ بقصائدِ زملاءِ حلا، وأداءِ المطرب والعازفِ، ومن القصائدِ التي نالتْ الإعجابَ :قصيدة بلطجة:

يا اللي واخدين ع التفاخر

والمعايبة والتناحر

يا كسالى وانتو عاله

ع اللي منكو

إنتو أصلا جوه كدبة

مصدقينها

إنكم تستاهلوا عيشه

فين دليلها

يا كسالى

جهل صامت

لسه بينادي العداله

وانتو طبعا ف النداله

يا كسالى

كل يوم جوه القهاوي

عطلجيه

مكلمة والرغي داير

بين فراغ البلطجية

جاي تضيع فيها وقتك

بين تسالي الصحبجية

قوت ولادك حلّله

لروحك قضية

ويا عقل مالوش هوية

جوه بيتك مشكلة

ومليون رزية

وانت سلبي وياجهلك

في الهروب راجل هفيه

بين مبادءك

تولع الدنيا بحلولها

نفسك أهم من القضية

ما إنت بين الناس

راسم لك وش ثابت

وش قادر يخدع

القاعده الغبية

ويّا لمّة صحبجيّة

نفسي حالك

يبقى بيتك

محتاج لمالك

وانت ولا هامك زمانك

مقتنع إن اكتمالك

شيشة وسيجارة

بتعدل من دماغك

وانت دايما

سلبي حتى وسط بلدك

قلب وطنك

تستخبّى بين كلامك

والتفاخر والمعايرة

والشكاوى والتناحر

وانت أصلك م الكسالى

آخرتك جوه الزباله

عبء على وطنك وبيتك

عايش الدنيا بعيبك

من غير رسالة

بين الكسالى

عطلجية صحبجية بلطجية

يا كسالى

نجحت الأمسيةُ، وكان الحضورُ كثيفاً من مختلفِ الأعمار، هذا النجاحُ جعلَ النائبةَ تقدمُ مذكرةً لزيادة دعمِ مركزِ الشبابِ، فرصدَ المركزُ ميزانيةً لندوةٍ شهريةٍ ثقافيةٍ أدبيةٍ فنيةٍ، ووافقَ على اقتراحِ حلا بإقامةِ مكتبةٍ في مركزِ الشبابِ، ومخاطبةِ الجهاتِ الثقافيةِ والأدبيةِ لمدِّها

بالكتـبِ، نجحـتْ سـها بالإخـلاصِ وحسـنِ الإعـدادِ، والصبرِ والتصميـمِ، شـكرتْ كلَّ مـن دعمَهـا خصوصـاً حـلا، التـي قالـتْ لصديقتِهـا :هـذا النجـاحُ مسـؤوليةٌ كـبرى علينـا أن نخطـطَ للنجـاحِ في الأمسـياتِ القادمـة ...

أجنحة البحر

فنجانُ القهوةِ هو لغةُ الحوارِ هو لغةٌ حواريةٌ بروحِ الصمتِ، والبحرُ هو الشاهدُ الأكبرُ على قصتِها مع حبيبِها قبلَ السفرِ، وعلى الذكرياتِ، وهي بينَهُما تستشعِرُ نداءَ الأماكنِ .

تذهبُ إلى البحرِ كما عوَّدَها، فهو صندوقُ الأسرارِ المخلصِ، تأخذُ زجاجةً من مياهِهِ وتستحمُّ بها كلَّ أسبوعٍ لجلبِ الخيراتِ، ومنعِ الحسدِ، تستنشقُ الرحيقَ الذي يُجْلِي الوجدانَ وكأنَّه الخمرُ ينتشر عبرَ الروح .

سنواتُ العمرِ الآنَ بلغتْ خمساً وثلاثين سنةً بمشاعرِ القلقِ تدورُ بها .الإحساسُ يتفاقمُ فيصدرُ مؤثراتٍ تبعثُ الوعيَ .النهارُ يتغلغلُ يتسربُ في الاحتمالِ، ومعتقداتُ الأمِّ تَخنِقُ الوقتَ والثرثرةَ ؛ فتأتي دوماً لصديقِها البحرِ بديلاً للحظةٍ تخلقُ الدماءِ عبرَ الوريدِ، تُحاكي السويعاتِ، تتأبط ذراعَ الصبرِ، وتُجْهِش بالبكاءِ والدعاءِ على مائدةِ الوعود .

يمرُّ الوقتُ وهي جالسةٌ في الكافتيريا على البحرِ، وفنجانُ القهوةِ يشارِكُها بنقوشِهِ التشكيليةِ البارعةِ، ثنائيةُ

الحـاضرِ والقـادمِ تصـارعُ الفكـرَ، وليـسَ أمَامَهـا بدائـلُ أو حلـولُ، تنظـرُ إلى خاتـمِ الخطوبـةِ، تحتضِـنُ أناملَها،ويدُهـا تمتـدُّ إلى الحقيبـةِ لتلمـسَ القلـمَ والورقـةَ البيضـاءَ ليتسـعَ أفـقُ الـسردِ، هـذا مـا تمتلِـكُ قـرارَه فقـط الكتابـةُ تجعلُهـا تهـدَأُ، وتعالـجُ ثورتَهـا، وأقـوالَ إخوتِهـا، تـدوِّنُ الإحسـاسَ المخبـوءَ بـين طيـاتِ الأيـامِ، وتبـدأُ الكتابـةَ وصـوتَ أمِّهـا يـتردَّد :إن حبيبِهـا يتهـرَّبُ مـن عقـدِ القـرانِ، وإن وعـودَه كاذبـةٌ، أو إنـه تـزوَّجَ غيرَهـا بالخـارِج .

تكتـبُ وتناجـي حبيبَهـا :سأرسـلُ لـك رسـالتِي عـلى أجنحةِ البحـرِ :أنـا هنـا يـا حبيبـي مكبلـةٌ بالمشـاكلِ، يصاحبنـي الملـلُ، لا أملـكُ إلا هـذه الذكريـاتِ، وصفحـاتِ كلـماتٍ، وقمـرا وقصائدَأحـلامِ انتظـارٍ، هـل يسـمعُني النهـارُ ؛ ليرسـلَ لي باقـاتِ التفـاؤلِ ؛لأسـتعيدَ الحيـاةَ، هنـا بدونِـك يـا حبيبـي الدمـعُ غزيـرٌ، والخـوفُ وفـيرٌ، والأمـلُ في قلبـي يسـتجيرُ، والقلـقُ يشـتدُّ ويهتِـفُ بالارتبـاكِ، لا أنـا هنـا ولا هنـاك، الأزمـاتُ طغـتْ عـلى الوعـودِ والأمنيـاتِ .

كلَّ يـومَ أنـا وقلمـي ننـادِي الأمـلَ، والرسـائلُ بـلا أجنحـةٍ تـصرخُ في صمـتٍ سـابحةً ؛ فمتـى أكـونُ أنـا .

إن سُـحُبَ الرحيـلِ تكثـرُ داخـلي، أينطـوي الفـرحُ بالفـراقِ، حتـى فنجـانُ القهـوةِ الـذي أعشـقُهُ دوائـرُ مـن ظـلامٍ برائحـةِ البـكاءِ ...

متى تعود .؟

أهو حُلمٌ .؟ أهو سَرابٌ .؟

كلَّ شيءٍ في انتظـارِكَ كـما طلبْـتَ، حتـى ألـوانُ الحجـراتِ، وفسـتانُ الزفـافِ، الـكلُّ يسـألُنِي يوميـاً عنـكَ.

وأعجزُ عن الرَّدِّ .!

تُنهـي الكتابـةَ، وتطـوي صفحاتِهـا، وتتمتِـمُ لفنجانِهـا : هكـذا الدنيـا تـدورُ بالأوجـاعِ والأحـزانِ، وتوابـعِ الفـراقِ .

توهِمُنَـا أنَّ القـادمَ يتدفَّـقُ كنهـرِ الفـردوسِ، وسـطورِ النشـوى، وأناشـيدَ الاستحسـانِ، وننتظـرُ حتـى يحتوينَـا

الانتظارُ، ونتجرعُ بكاءً، وتنسَحِب السنواتُ، ويقفُ قطارُ الصبرِ على محطاتِ الفقدِ ؛ ليعلنَ :إنه ارتوى وجَعَاً، ولابدَّ من ترميمِ الذات .

تلتفتُ بلهفةٍ إلى صوتِ رناتِ الموبايل :إنَّهُ هوحبيبُها، تغمُرها اللَّهْفَةُ والابتسامةُ لعلَّه خيرٌ، تردُّ بسرعةٍ، تنتظرُ ما يسعِدُها ؛ لكنَّهُ كعادَتِهِ يعْتَذِرُ، فرحلةُ العملِ مازالتْ مستمرةً لآخرِ العامِ، تحاولُ الاعتراضَ، تُناشِدُهُ الحضورَ ؛ للأسفِ انتهت المكالمةُ .

سيتأجلُ موعدُ الزِّفافِ للمرةِ الثالثةِ، تأخذُ أوراقَها التي طاوعَتْها، واستقبلتْ شكوتَها، تمزِّقُهَا وتمنحُها للبحرِ، تطلبُ فنجانا آخرَ من القهوةِ، يشاطِرُها الأحزانَ، ويشهدُ على الانتظارِ، وتضعُ الأملَ في صندوقِ البحرِ ؛ لتعودَ من جديدٍ ؛ لعلّهُ يكونُ معها قريباً.!

الكاتبة في سطور

- إيمان أحمد يوسف
- عضو اتحاد كتاب مصر
- حاصلة على بكالوريوس إعلام جامعة القاهرة
- دبلومة فى العلاقات العامة من مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة
- دبلومة فى الدراسات الإسلامية من المعهد العالى -للدراسات الإسلامية-المهندسين-سفنكس،القاهرة
- عضو جميعة الإعلاميين بجامعة القاهرة
- من مواليد الإسكندرية..حى الشاطبى
- عضو اتحاد الكتاب الآفرو أسيوى

- عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية
- عضو مجلس إدارة نادى شركة مصر لتأمينات الحياة
- رئيس نادى أدب قصر ثقافة الجيزة
- عضو نادى الأباء بقصر العينى القاهرة
- عضو نادى الأدب بقصر الإبداع بالإسكندرية
- عضو سكرتارية المرأة والطفل باتحاد نقابات عمال مصر، وعضو أمانة المرأة باتحاد نقابات عمال الجيزة
- عضو مجلس إدارة هيئة الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية بالإسكندرية كما تتولى أمانة صندوق الهيئة الأسبق
- عضو مجلس إدارة نادى الأدب بقصر ثقافة الأنفوشى ٢٠٠٧، ٢٠٠٨
- عضو مجلس إدارة جمعية الكاتبات المصرية
- عضو أتيليه الإسكندرية والقاهرة
- عضو جماعة الأدب العربى بالإسكندرية
- عضو رابطة السرد العربي
- عضو لجنة السرد باتحاد كتاب مصر

- عضو لجنة أدب الأطفال باتحاد كتاب مصر
- حصلت على دورة دراما إذاعية عام ١٩٩٧م (من اتحاد كتاب مصر مع اتحاد الإذاعة والتليفزيون.
- عملت كمحررة صحفية لمدة خمسة أعوام بجريدة الأيام – الحياة – مجلة ألحان – الفن والكاميرا – مجلة الكاتب جريدة إشراقة – النقابى العربى

التكريمات والشهادات والجوائز والميداليات والدروع

- حصلت على العديد من الشهادات التقديرية والجوائز، وشاركت فى البرامج الثقافية والتليفزيون والأمسيات الشعرية والمهرجانات الثقافية ومعرض الكتاب
- فازت بشهادة تقدير من مؤتمر النبع الخالد «بيرم التونسى» عام١٩٩٢م قطاع إقليم غرب الدلتا
- شهادة تقدير من الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩١ – ١٩٩٢م فى مسابقة الشعر ١٩٩٣و ٢٠١٦.
- شهادة تقدير من جريدة الحياة فى مسابقة الشعر ١٩٩٣

- شهادة تقدير من مهرجان القراءة للجميع قطاع إقليم غرب الدلتا ١٩٩٤
- شهادة تقدير فى الأغنية من جمعية أدباء الشعب لعامى ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٦.م.

دورات

- حصلت على دورة تخصصية فى السيناريو (قصر ثقافة السينما) بالقاهرة ١٩٩٣م.
- شهادة تقدير من جمعية الكتاب والأدباء ٩٧ - ٩٨م.
- شهادة تقدير من كلية الآداب جامعة المنصورة عام ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م.
- حصلت على ميدالية من المنطقة الشمالية العسكرية لمشاركتها فى احتفال أكتوبر اليوبيل الفضى ٢٥ سنة ١٩٩٨م.
- حصلت على ميدالية من محافظة شمال سيناء - الوزير اللواء/ على حفظى ١٩٩٨م.
- حصلت على ميدالية من الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكى العسكرية لمشاركتها فى احتفال اكتوبر ٩٨م.

- حصلت على ميدالية من كلية الآداب جامعة الأسكندرية
- حصلت على درع التميز من هيئة الفنون والأداب والعلوم الأجتماعية ٢٠١٠م وشهادات تقدير.
- تم مناقشة أحدث أعمالها (صباح الميدان) - مجموعة قصصية - بقصر ثقافة الإبداع (الحرية سابقا بالإسكندرية) وقصر الجيزة - وقصر الأنفوشى بحضور كوكبة من صفوة الكتاب والشعراء ٢٠١٣م و ٢٠١٤م و٢٠١٥م و٢٠١٦م ومعرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م.
- محاضر مركز بالهيئة العامة لقصور الثقافة.
- حصلت على دورات متخصصة فى التنمية البشرية وتى أو تى.
- شاركت فى مؤتمر التنمية الاجتماعية بين الواقع والمأمول برعاية وزارة التضامن الأجتماعى ٢٠١٤م وغيرها من المؤتمرات.
- شاركت فى مؤتمر الأدباء والثورة بقصر ثقافة الجيزة - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٤م.

- شاركت فى مؤتمر شعراء العامية والثورة باتحاد كتاب مصر ٢٠١٣ م.
- حصلت على درع تكريم من الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦م.

- حصلت على درع التميز من نادى سموحة – اللجنة الثقافية بالإسكندرية لمشاركتها فى مؤتمر «دعوة للحب» ٢٠١٦.
- حصلت على درع تكريم من هيئة قناة السويس لمشاركتها فى مؤتمر الإسماعيلية بقصائدها عن مصر وجيش بلادنا المحروسة.
- حصلت على شهادات تقديرية من اتحاد نقابات عمال مصر واتحاد عمال الجيزه ونقابة البنوك وشركات التأمين ٢٠١٥م٢٠١٦م.
- حصلت على شهادات تقدير من شركة مصر لتأمينات الحياة عن جهودها فى تطوير المكتبة، ومسابقات « تحيا مصر» و« مصر هبة النيل»٢٠١٥ -٢٠١٦وغيرها.
- درع التميز من شركة مصر لتأمينات الحياة ٢٠١٦م.

- تم اختيارها الأم المثالية لعام ٢٠١٦ من نقابة البنوك وشركات التأمين
- تم اختيارها الأم المثالية لعام ٢٠١٦م من اتحاد عمال الجيزة

مشاركات

- شاركت فى برنامج البانوراما العسكرية بالقناة الثانية بالتليفزيون المصرى عام ١٩٩٨م.
- شاركت فى برنامج البانوراما العسكرية بالقناة الثانية بالتليفزيون المصرى ١٩٩٨م.
- شاركت فى مؤتمر أدباء مصر فى الأقاليم بمدينة دمنهور ٢٠٠١م.
- شاركت فى المؤتمر الأدبى الأول للغربية عام ٢٠٠١ بطنطا.
- تم مناقشة أعمالها الإبداعية فى معرض القاهرة الدولى للكتاب بالقاهرة عام ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٥- ٢٠٠٩ - ٢٠١٣م.
- شاركت أيضا فى الأمسيات الشعرية سنويا بمعرض القاهرة الدولى للكتاب.
- شاركت فى مؤتمر أدباء مصر فى دمياط ٢٠٠٠م.

- شـاركت فى المؤتمـر الثانـى لأدبـاء القاهـرة عـام ٢٠٠٠ (الروايـة والقصـة).

- شـاركت فى المهرجـان الشـعرى بكليـة الأداب جامعـة المنصـورة مـن ٢٠٠١م بالمنصـورة وعـام ٢٠٠٢م - ٢٠٠٣م - ٢٠٠٤م - ٢٠٠٥م.

- شـاركت فى المهرجـان الأدبـى بالسـنبلاوين عـام ٢٠٠٢م عـن الانتفاضـة الفلسـطينية .

- شـاركت فى الاحتفـال السـنوى للبـلاد الفرانكوفونيـة بجامعـة سـنجور بالإسـكندرية ٢٠٠٧م، وتـم ترجمـة أعمالها للغـة الفرنسـية بـأداء الدكتـور الأسـتاذ أبـى القاسـم مـن دولـة تونـس.

- شـاركت بدراسـة نقديـة ونـشرت أعمالهـا فى مجلـة الثقافـة التابعـة لهيئـة قصـور الثقافـة ومجلـة النقابـى العربـى التابعـة لنقابـات مـصر وجريـدة أخبـار الأدب، ومجلـة اتحـاد كتـاب مـصر، ومجلـة الفـن والكاميرا، وجريـدة الأيـام، وجريـدة المـصري اليـوم، وجريـدة القاهـرة، ومجلـة الكواكـب، ومجلـة حـواء، ومجلـة الثغـر ، ومجلـة الكلمـة المعـاصرة، وجريـدة الجمهوريـة، وجريـدة المسـاء، وجريـدة الأهـرام المسـائي .

- شـاركت فى أمسـيات محكـى القلعـة بمقـر اتحـاد الكتـاب بقلعـة صـلاح الديـن بالقاهـرة عـلى التـوالى.

- من مؤسسى معرض الإبداعات المتنوعة بنادى شركة مصر لتأمينات الحياة ٢٠٠٨م حتى الآن وحصلت على شهادات تقديرية من مجلس إدارة نادى الشركة ودرع التميز ٢٠١٦م.
- شاركت وتشارك فى أمسيات اتحاد الكتاب بالزمالك منذ عام ١٩٩٥ وحتى الآن.

الإصدارات

١. ديوان عرايس الشعر (مشترك) عن مديرية الثقافة ١٩٩٢م

٢. ديوان مشاعر عن هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٩٤م

٣. ديوان تنهيدة صبية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) عن سلسلة إشراقات أدبية١٩٩٤م.

٤. ديوان وشوشة البحر ١٩٩٧م عن (هيئة الفنون والآداب والعلوم الأجتماعية).

٥. ديوان لحن الحنين ١٩٩٨م عن (منارة الإسكندرية للنشر والتوزيع).

٦. ديوان مصر جنة بتبتسم ١٩٩٨م عن (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع).

٧. ديوان يا فرح صاحبنى ١٩٩٨م عن (دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر)

٨. ديوان أنيس قلبى عام ٢٠٠٠م عن (دار الوفاء الطباعة والنشر).

٩. ديوان أحضان السنين عام ٢٠٠٠م (دار الوفاء الطباعة والنشر).

١٠. ديوان النيل واعدنى عام ٢٠٠٢م عن (دار الوفاء الطباعة والنشر).

١١. ديوان احتوانى الانتظار عام ٢٠٠٦م عن (اتحاد كتاب مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب).

١٢. ديوان متغربة جوة الوطن - عن مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر، طبعة أولى ٢٠١٤ - الطبعة الثانية ٢٠١٧م.

١٣. وللأطفال تبسيط مسرحة إيزيس للكاتب توفيق الحكيم عن (سلسلة عين صقر الهيئة العامة لقصور الثقافة) ١٩٩٨م

١٤. حكايات ماما إيمان - مجموعة قصصية للأطفال، الشركة المتحدة للإعلان - ميريت - طبعة أولى ٢٠١٤م.

- قصة الزهور
- قصة الكتاب صديقي
- قصة إيناس والبطة الحصالة
- قصة حسام والنظام
- قصة حمادة والقطة لوسي
- قصة ريهام والمذياع
- قصة علاء والكلب الوفي
- قصة فادي والكتاكيت
- قصة هشام والعصفوران
- قصة وائل والكراتيه

١٥. دراسة نقدية للشاعر والناقد الكبير محجوب موسى عن أعمال الشاعرة إيمان يوسف صدرت في كتاب عام ٢٠٠٢م عن دار الوفاء للطباعة والنشر

١٦. دراسة نقدية كتبها الدكتور مختار عطية تحت عنوان (إيمان يوسف بين الرؤية والأداة) نشرها في كتابه الذي صدر عام ٢٠٠٣ عن دار الوفاء للطباعة والنشر

١٧. الإسكندرية بالفصحى والعامية - شعر وسرد سلسلة رؤى عن يسطرون ٢٠١٨م

١٨. صباح الميدان عام ٢٠١٣م (مجموعة قصصية) عن (الشركة المتحدة للإعلان - م عبد المنعم رياض - ميريت - التحرير - القاهرة.

١٩. بكاء الشجر - قصص قصيرة سلسلة رؤى عن يسطرون ٢٠١٨

تحت الطبع

- مبدعو الإسكندرية - دراسة
- الكتاب صديقى - قصص للطفل

الفهرس

التقديـم ٥
ملامـح ١٧
المحاولـة ١٩
تصالـح ٢٣
شـلالاتُ الحقائق ٢٧
الجنةُ في الحجـرةِ ٣١
وجه مـن قصـة ٣٩
بكاءُ الشّـجر ٤١
هـو ٤٥
هـيَ والقاهـرةُ ٥٥
الجميلـةُ ٦٣
أمسـيةٌ ٦٩
أجنحـة البحـر ٩١
الكاتبة في سـطور ٩٧

رؤى
إبداع بياغ
عنان السماء
ندعم الإبداع من الألف إلى الياء